

3.....	بين العنف واللاعنف
5.....	الإبادة والهيمنة ثقافية.
5.....	الأولى الاسقاط والتشهير (projection and defamation) <input type="checkbox"/>
9.....	الثانية السلب الثقافي (Cultural appropriation) <input type="checkbox"/>
10	الثالثة التماهي (Assimilation) <input type="checkbox"/>
11	تدمير الأسرة والمنظومة الأخلاقية
12	تحوير الهوية
151. الهيمنة السياسية
15	التحالفات وخيانة النخب
18	دعم الثورات
19	خلق الحساسيات الطائفية والعرقية
20	اختلاق الحروب
233. نكث غزل الاقتصاد
23	من الانتاج الى المضاربة
23	فتح الاسواق والتجارة الحرة
24	ديون الافراد واقتصاد الدولة
25	الدولة المدينة
28	الدين البغيض
29	المشاريع التنموية والبنية التحتية
30	العقوبات والقانون دولي
334 مساعدات ومنظمات مجتمع مدني
35	التهجير ومحسكرات الاعتقال والمحميات
365. الحروب البيئية والغذائية

VOL. XLIII. No. 1109.

PUCK BUILDING, New York, June 8th, 1898.
Copyright, 1898, by Keppler & Schwartzmann.

PRICE TEN CENTS.

Ruck

2nd COPY DELIVERED TO THE
JUN 1 1898
Periodical Dept.

Entered at N. Y. P. O. as Second-class Mail Matter.
2nd COPY.

LIBRARY OF CONGRESS
OFFICE OF
Register of Copyrights
JUN - 1 1898



بين العنف واللاعنف

"ذروة فن الحرب هي إخضاع العدو من دون قتال" صن تزو

قال صن تزو هذا قبل 2500 عام، وابداً من هنا للدلالة على قدم فكرة تحقيق المآرب السياسية والاستراتيجية بدون قتال، وما أصبح يعرف اليوم بالحرب الناعمة وما تشمله من تفخيخ الدول من الداخل، والتي يمكن تعريفها بأنها جملة الوسائل غير "العسكرية المباشرة" لاخضاع الخصم وتحقيق المصالح السياسية والاستراتيجية، من الطريق أن نعلم أن جيش صن تزو نفسه قد قاتل هزيمته بمثل هذه الوسائل، اذ استعاد ملك غوجيان مملكته وانتقم من الغازي بشن حرب ناعمة ممنهجة ومدروسة لإفقاد الخصم كل مقومات الدفاع والقوة.

الوسائل التي تعتمدها الحرب الناعمة وتفخيخ الدول من الداخل، تشمل الاقتصاد والثقافة وال الحرب البيئية والبيولوجية وهي ليست بأقل عنفاً وتدميراً من الحرب العسكرية المباشرة، وقد يلجم إليها المدافعين كما المهاجم، وتتراوح الدوافع للجوء إليها فهي قد تكون بديلاً عن الحرب العسكرية، وذلك لعدم الرغبة بالخوض في صراع مسلح لأسباب لوجستية أو اقتصادية أو اجتماعية، أو لعدم القدرة نتيجة معاكلة ردع ضد خصم قد يعتد به، وقد تأتي كمكمل للعدوان والغزو العسكري، أي كمرافق له أو متمم من بعده، ومن الجدير بالذكر أنها أيضاً قد تستخدمن لذاتها، فهي عدوان شرس ذو كفاءة عالية وآثاره أكثر ديمومة وتجذراً على الخصم اذ قد تمت آثارها لأجيال وقرون وتبعاتها عادة ما تكون أعم وأشمل من تبعات الحرب العسكرية المباشرة.

في تاريخ الامبراطوريات هناك سجل حافل من التدمير الممنهج والمتعمد لقتل بذور النهضة لدى الشعوب المستعمرة بأساليب متعددة ومتدخلة، بعضها عدواني صريح والآخر مداهن ومستتر **سأحاول حصرها بعناوين مع اعطاء أمثلة**، علماً أن التصنيف هو اجتهادي الشخصي مبني على قراءاتي وأأمل أن يكون شاملًا قدر المستطاع، وأسأحاول تسلیط الضوء على جذور وتطور هذه الأساليب من العصور القديمة إلى اليوم في بعض الحالات وفي حالات أخرى سأكتفي بإعطاء مثال أو أمثلة بارزة، وسأركز على الاستعمار الأوروبي والأمريكي ومن الجدير بالذكر أن الحضارة الرومانية هي المرجع الأخلاقي والفلسفى للاستعمار الغربي¹، لذلك سأحاول العودة إلى الحقبة الرومانية كلما استدعت الحاجة.

ويتبع هذه المقالة، مقال ملحق ان صح التعبير، وهو مخلاص كتاب **عنوان امبراطورية غير مجيدة**، يسجل فيه الكاتب ساشي تهورو مراجعة مفصلة حول الاستعمار البريطاني للهند، واخترت الهند كنموذج، لأن عملية استعمارها لم تكن لتنتم دون استخدام جملة **الأساليب غير العسكرية المباشرة** والتي مكنت جزيرة صغيرة بريطانيا من اخضاع

1 المسألة بالطبع ليست عرقية بل أيديولوجية، بل هي مفهوم يتكلم عنه نيتشه في جينيولوجيا الأخلاق، أخلاق الرومان هي أخلاق القوة والسيطرة

والهيمنة، وتعتبر الضعف والتعاطف سوء أخلاق أو أخلاق منحطة للدقة، بل ان نيتشه يقول بأن ديانات كال المسيحية جاءت كعارض نفسي للضعف

والمهزوم ليوازي نفسه على هزيمته وعجزه تجاه الأقوياء، فبدل أن يقاتل ليأخذ كل ما يمكنه من هذا العالم فهو يلجم ليقول إنه هناك خلاص في عالم آخر ينال به المظلوم مكافأة على عجزه وقلة حيلته وضعفه و"انحطاطه" بحسب نيتشه.

وسلب ونهب شبه قارة كانت تفوقها بالحجم والسكان والثروات والحضارة والعلم عشرات الضعاف بدون قوة عسكرية تذكر.

الإبادة والهيمنة ثقافية

"ان الفصل الأخير لأي إبادة ناجحة يكون عندما يُبعد المضطهد يديه، ويقول يا إلهي ما الذي يفعله هؤلاء الناس بأنفسهم إنهم يقتلون بعضهم البعض، إنهم يقتلون أنفسهم" (Huey, 2010)

الإبادة الثقافية هي عملية ممنهجة ومعقدة وتهدف الى إعادة خلق الخصم من داخله وإعادة رسم تصوراته عن نفسه وعن عدوه، وبالتالي تغيير حقيقة الخصم من داخله، هي عملية تعديل جيني فكري بحيث تحافظ به جسدياً وتعديل برمجته بالكامل ليخدم مصالحك وأهدافك وكثيراً ما تعمل على توجيه مجتمع ما وخلق الظروف المؤاتية لكي يقوم بعملية تدمير ذاتي تريح الخصم من عبء محاربته، هناك أدوات وآليات لهذه العملية، فأما الأدوات تختلف من عصر الى آخر، فالبروباغاندا قديماً كانت بالخطابات والشعر وكتب التاريخ، أما اليوم فالاكاديميا والاعلام والترفيه والمناهج ومنظomas حقوق الانسان والمجتمع المدني ووسائل التواصل كلها تسخر كأدوات للإبادة الثقافية، وفيما يخص الآليات فعلينا هنا أن نبدأ من روما التي صعدت الى المسرح العالمي حينها من قرية صغيرة على حافة الحضارة، وعاصرت الحضارات "القرطاجية" والاغريقية ومصر البطلمية والفارسية، وبينما عُرف نموذج الاخيرة بأنه لا يفرض ثقافته على الشعوب التي يحكمها ويقبل بالتعدد والتنوع الثقافي، كانت قرطاج منفتحة هي الاخرى ولكنها لم تكن امبراطورية بمعنى أنها لم تضع شعوباً أخرى تحت كنفها برغم توسعها، وهي الأخرى لم تحاول "التبشير" بحضارتها ولا فرضها على الآخرين، أما الإغريق، فكان لهم نموذج خاص من المداهنة الثقافية ساعود اليه لاحقاً، أما الرومان بدورهم وفي مرحلة الصعود السريع لإمبراطوريتهم وسيطرتهم على المتوسط، كانوا يقومون بعملية "رومنة" Romanisation للشعوب المسيطر عليها والتي تألفت من 3 آليات ضمنية:

● الأولى الاسقاط والتشهير (projection and defamation)

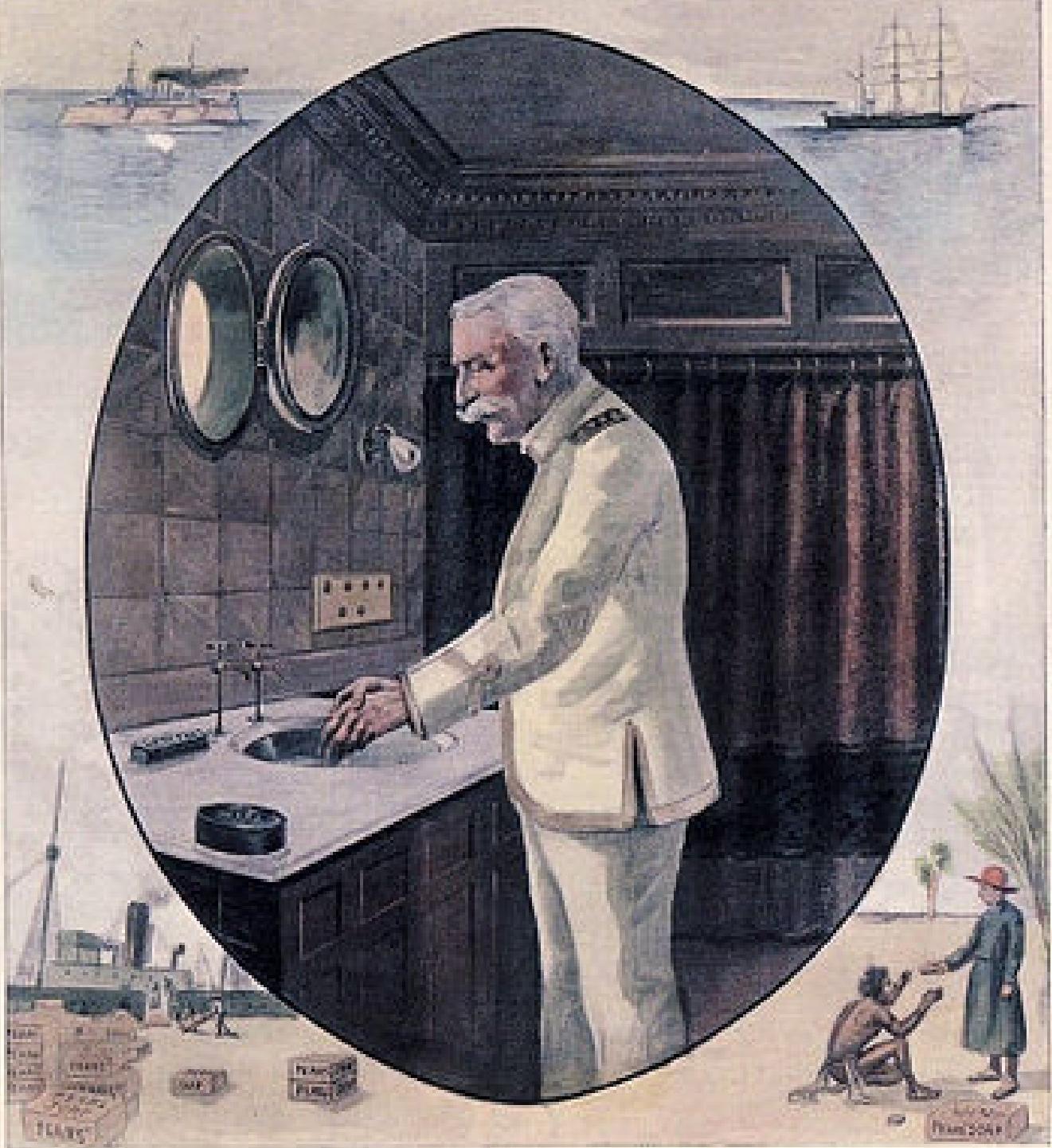
"قتل الهندي، وحافظ على الرجل" الجنرال ريتشارد هنري برات، المشرف على مدرسة كارلайл الصناعية للهنود

وهي حملة اتهامية من تحريف الأخلاقي والثقافي للشعب المهزوم، وتطهير المحتل من أسوأ صفاته وإلصاقها بالشخص، "لم يقم السلام القرطاجي عندما أبادت روما قرطاجنة عن بكرة أبيها بل عندما صار القرطاجيون يقولون عن تدمير قرطاجنة ما يقوله الرومان. ولم يقم (السلام الطروادي) عندما محا الإغريق طروادة من على وجه الأرض بل عندما صار الطرواديون يستمتعون بقراءة هومر... هذا (السلام القرطاجي) لم يدم إلا لأن إبادة (وعي المقاومة) كانت أدمى وأوحش من إبادة البشر". (العكش، حق التضحية بالآخر، أميركا والابادات الجماعية، 2002).

إنَّ حملات الإسقاط والتشهير لا تكتفي بالكذب وحده، بل تتضمن أيضاً عكس أسوأ صفات الرومان على خصومهم، وبهذا ومن أشهر الأمثلة هي حملة المسحورة التي شنت على القرطاجيين التي لا تزال اثارها قائمة

لليوم في الكتابات والأدب وحتى علم الآثار، الذي يحاول إثبات صحة الادعاءات الباطلة من التضخيه بالبشر والأطفال من ضمن افتراءات أخرى، كذلك مثلاً قام المستعمرون الانجليز بعكس بعض اسوأ صفاتهم على الهنود الحمر، مثل أكل لحوم البشر الذي كان منتشرًا بين الانجليز وان لم يكن بشكل واسع، الا انه موثق في الأدب والاغاني الشعبية والمستندات التاريخية والرسمية وحتى القضائية والقانونية الصريحة التي تؤكد وجود هذه الظاهرة بين الانكليز، كما انها لا تزال موجودة لدى البيض اليوم وان بشكل محدود جداً تظهر كل عدة سنوات حالات لقتلة متسلسلين يأكلون لحوم البشر، في المقابل هي معروفة بالنسبة للسكان الأصليين، بل كانوا بطبيعة الحال يعتبرونها وحشية ومستهجنة، قام الرجل الابيض بإسقاطها على "الهنود الحمر" في خطابه وأدبه وسياساته وكل منتجاته الثقافية، بل إن كل تصوير للسكان الأصليين في الأفلام والرسوم المتحركة، لم يخل من هذا التشهير والإسقاط حتى منتصف القرن العشرين، إلى درجة أن الكثيرين من السكان الأصليين أصبحوا يعتقدون أن هذه حقيقة أجدادهم، كذلك مسألة النظافة الشخصية، كل الوثائق التاريخية تدل على ان كل لقاء بين الرجل الابيض والسكان الأصليين في مختلف القرارات قد سخر فيه الابيض من عادات النظافة والاستحمام عند الاخرين، بينما اشتكي الأولون من قذارة ورائحة الرجل الابيض، عندما اكتشف الرجل الابيض الصابون في القرن التاسع عشر قرر قلب الصورة، واعتبار حملة "التطهير" التي يقودها ضد الاخرين و"تحضيرهم" التي يفرضها عليه "عبء الرجل الابيض²" (العكس، حق التضخيه بالاخر أميركا والابادات الجماعية، 2002)، والمسألة ليست مجرد تزوير خطابي وأدبي كما يقول اداورد سعيد (سعيد، 1981) في الاستشراق فهو خلق عام قائم له دوافع ومصلطحات وقوى داخلية ومجتمع يعيid خلق مواده ويبني عليها وعلى نقدتها فهو عام معاش وليس مجرد كلام وأفكار ومفاهيم، فبحسب سعيد، الاستشراق قام على ثلاثة المعرفة والسلطة والانشاء/الخطاب، التي كانت تعزى بعضها وتخلق عالمها ومجتمعها.

2 مفهوم صاغه روديارد كيلينغ شاعر الهوية الوطنية البريطانية، انظر فوذج استعمار الهند (مقالات ملحق) للاطلاع على امثلة من اعماله في الاسقاط والتشهير بحق الهنود في شبه القارة الهندية، اما فيما يخص المصطلح نفسه فهو عنوان قصيدة للشاعر نشرت في 1899 لتعبر عن روح العصر، فهو يقلب عدون الرجل الابيض بالحديد والنار، الى عمل خيري يقوم به كعبه لأن عليه اتمام رسالة حضارية بتعليم الشعوب الاخرى حضارته وان تطلب الامر الكثير من القتل والاذلال والنهب فهو لا يقارن باملئنة الحضارية التي يجلبها الرجل الابيض معه، انظر الرسوم المرفقة بينها واحدة فقط تسخر من قلب المفاهيم بينما اغلب صحافة العصر آنذاك عظمت هذا المفهوم.



The first step towards lightening
The White Man's Burden
is through teaching the virtues of cleanliness.

Pears' Soap

is a potent factor in brightening the dark corners of the earth as civilization advances, while amongst the cultured of all nations it holds the highest place—it is the ideal toilet soap.

وبالعودة إلى تجربة الإبادة الثقافية للسكان الأصليين في أميركا، التي لحقت الإبادة العرقية لغالبية هؤلاء الشعوب، ومصادرة أراضيهم وتهجيرهم، وإسكانهم في محميات مقفرة، تم اتباع سياسة ظهرت إنسانية أكثر، إذ اعتبرتهم من البشر وأن قتلهم بالشكل الصريح لا أخلاقي، ظهر مبدأ "قتل الهندي وحافظ على الرجل" وهدفت تحت ما يسمى بعبء الرجل الأبيض لفرض "حضارة" الرجل الأبيض عليهم وبالذات على أطفالهم "كان لا بد من خلق جديد لهندي ليس له من هنديته إلا البيولوجيا. لا بد من صياغة جديدة لوعيه وذاكرته وأخلاقه وملامح عقله." (العكس، أميركا والآباء الثقافية "لعنة كنعان" الانجليزية، 2009) تم خطف الأطفال ووضعهم بمدارس تبشرية أشبه بمعتقلات الأعمال الشاقة، التي عانوا فيها من الجوع وعمل السخرة والاغتصاب والضرب والأمراض وهذه المدارس التي اقتربت أغلبيتها بالمدافن لارتفاع معدلات الموت³، في هذه المدارس كان يتم تعليم الأطفال أن يحتقروا ثقافة أهلهم ولغتهم وهوبيتهم بشكل متعمد وممنهج ومدروس، كانوا يغيرون اسمائهم ويحرقون مقدساتهم فمن نجا من هؤلاء الأطفال غالباً خرج بأمراض نفسية ومشاكل هوياتية عميقه تجاه نفسه وأصله وهوبيته، وقلة قليلة منهم أصبحوا أميركيين فيما سأفصله تحت عنوان التماهي. ومن الجدير بالذكر أن هناك مسائل حساسة يتم استهدافها عند التشهير بشعب أو مجتمع ما، فلطالما كانت مسائل عادات الأكل والشرب والنظافة والعلاقات الاجتماعية والزوجية بالإضافة إلى الدين، مسائل يتم تشويه الآخر لأجلها وشيطنته ونزع الإنسانية عنه، وهكذا فإن التركيز عليها في حملات التشويه ليس عفوياً ولا مصادفة، فنزع الإنسانية عن الآخر مقدمة لقتله بدم بارد.

أيضاً يشتمل الاسقاط والتشهير على تشويه النموذج الثوري، إن كان دولة أو ثورة، أو قيادة ثورية، لأن وجود النموذج هو ترياق مضاد لكامل عملية الإبادة الثقافية، فالنموذج يعرى كذب المستعمر، ويضخ الأمل في جموع الماضطهدين وفي كثير من الأحيان يرسم الطريق العملي الواضح للتمرد والثورة، ولهذا فقد قامت أميركا بمعاداة هايتي وتدميرها وتعمد إلى الحرث على بقائها تحت الانقضاض كما سأفصل لاحقاً، لأن هايتي مثل أول ثورة ناجحة في تحرير العبيد، وأول دولة سوداء محررة وقد نص دستورها الأول بعد الاستقلال على منع الرجل الأبيض التملك أو العمل كسيد في الجزيرة مجدداً⁴، وبذكر هايتي وتدمير النموذج تقول البروفيسورة الهايتية يابينة بيلو في محاضرة لها، أن الغرب يريد لنا أن نظن أنها وحوش ويريدون تدمير رموزنا الثورية وقدتنا المهملين، انهم يغتالون بياراتيس لومومبا، ويخلقون لنا مبوتو، يقولون لنا هذا انت/ متوجهون تقتلون بعضكم، وبالمقابل علينا أن نعرف أنفسنا ونعرف ثوارنا وأن نميز الرموز التي نصنعها من الرموز التي يصنعنها عنا ولنا، لأنهم يصنعون هذه النماذج لتدميرنا ولكي نكره أنفسنا أيضاً، نفس الشيء يمكن قوله عن كوبا، فعداء أميركا لكوبا ليس لأنها تشكل تهديداً فعلياً ومادياً لأميركا، بل مجرد أنها نموذج ثوري ملهم مقابل سواحلها، هذا بحد

3 ظهرت في الأشهر الأخيرة أخبار متواترة من كندا عن حرق كنائس ومدارس من قبل السكان الأصليين، وذلك عقب اكتشاف مقابر جماعية للأطفال في ساحاتها، وهذا الجرح العميق للسكان الأصليين يشكل جزءاً حساساً من الذاكرة الحية، إذ استمرت هذه السياسة حتى سبعينيات القرن الماضي ولا يزال الكثيرون من خطفوا وعانوا في هذه المدارس على قيد الحياة.

4 بحسب البروفيسورة فإن اغلب الكتب تغفل ذكر هذا الدستور (دستور عام 1805) وتذكر دستور ما قبل الاستقلال أو الدساتير التي أنت من بعده، لأنه نص على أساسيات تعرف مهمه هايتي كامة، منها منع الرجل الأبيض من التملك، وأنها تستقبل كل السود في العالم وتحتضن كل محري العبيد، وأن أي رجل أسود يحط قدمه في الجزيرة يصبح رجلاً حرّاً بشكل تلقائي ويكتسب الجنسية الهايتية ويصبح مواطناً، تعدل الدستور منذ ذلك الحين أكثر من 35 مرة، بمحو مهمة هايتي التحررية بالتدرج مع كل تعديل، وفي عام 1915 عند احتلال الولايات المتحدة الأمريكية لهايتي تم الغاء بند منع الرجل الأبيض من التملك والعمل كسيد، إذ قامت بفرض عدة تعديلات بالضغط على البريطان، عند تعديل هذا البند بالذات، رفض كل البريطانيين الانصياع، فقام جنود البحرية الأمريكية بمحاصرة البريطان واجبار أعضاء البريطان باقرار مرسوم تعديل كتبته الاحتلال الأمريكي بشكل ديمقراطي.

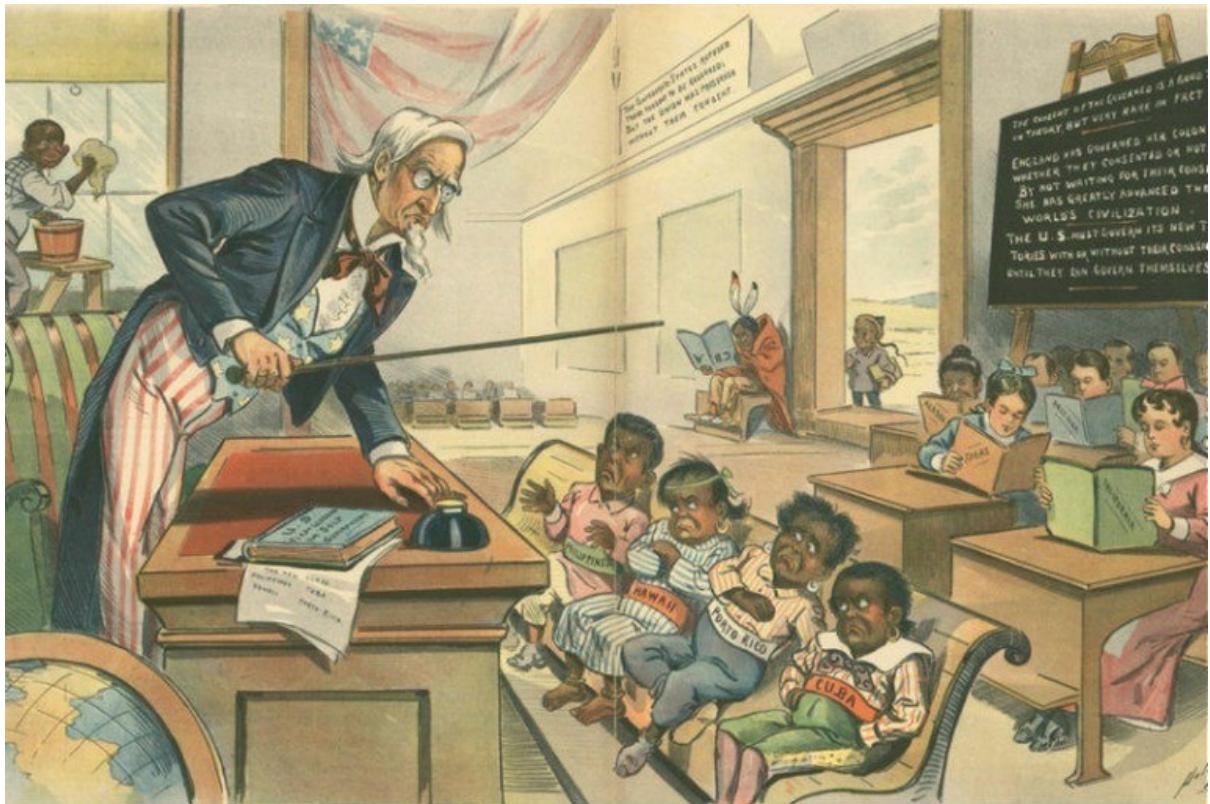
ذاته تهدىء مصالح أميركا وبنظرها فهو يجب أن يدمر، لكن لحسن حظ الكوبيين فإن أميركا لم تندل من كوبا كما نالت من هايتي.

● الثانية السلب الثقافي (Cultural appropriation)

تسخر المغنية التائرة من جنوب افريقيا مريم ماكينا من منطق الرجل الأبيض، وتقول بما معناه إنه لا يهم أن يوجد أمر ما يعرفه أي شعب لآلاف السنين، فهو لن يعتبر كذلك إلا عندما يكتشفه الرجل الأبيض ويضع يديه عليه، أيضاً الرومان اعتمدوا هذا الاسلوب، إذ أن كل المنجزات الحضارية للرومان هي منجزات "مستعارة" كما يحب أن يسميها بعض المؤرخين، ان لم تكن مسروقة، فعليها في العمارة، والتنظيم، والعلوم والطب وحتى الأدبان والفلسفة والقانون، كلها تم استعاراتها من القرطاجيين أولاً ومن اليونانيين ثانياً، ثم المصريين والفرس وسوريا ونسبت زوراً للرومان، ونرى السلب الثقافي اليوم بأم أعيننا في فلسطين بسرقة التاريخ والترااث الذي يقوم به العدو الصهيوني.

أيضاً خلق البريطانيون اسطورة الاندو-أوربيين (الأصل الآري للهنود)، وأن حضارة شبه القارة الهندية، بعثتها وتطورها وعلومها هي نتاج وبقايا لحضارة قديمة جاء بها آريون من شمال أوروبا في العصور القديمة، اليوم كل علوم الآثار والتاريخ تنفي هذه الرواية فأوروبا تأخرت 3 الاف عام على أقل تقدير عن حضارات المشرق، وهي لم تتوصل إلى الحضارة إلا بالتواء مع هذا المشرق، ولم تكن هذه الملة الوحيدة التي حاولوا فيها التشكيك بأي موروث ثقافي وحضارى للشعوب المستعمرة اذ جرت العادة الى نسب حضارات الشعوب السمراء والصفراء الى صلة ما بتواءل مع شعب اوروبي ما أو في بعض الحالات بسبب صلة باليهودية او المسيحية.

المسألة هنا في جانب منها نرجسية وظاهرة نفسية مرضية لا تقبل بوجود مكافئ حضاري عند الآخر، فما بالك اي نوع من التفوق الحضاري، ومن جهة أخرى هي عملية عقلانية مقصودة لها أثرها في المدى القصير والبعيد، فهي تسعى لتجريد العدو والآخر من أي قيمة حضارية وتدفعه لتحقير ذاته ولكي "يهن ويسهل الهوان عليه" أي لتبرير العدوان على نفسه وهزمه من داخله وسلبه من اي مرتکبات ثقافية حضارية قد يتمكن من البناء عليها للقيام بأي نهضة ومقاومة تذكر، وان لا يجد المرء في بيئته وحضارته ما يستحق الدفاع عنه والقتال من أجله، وهي آلية تكميل الآلية الأولى فيتظاهر الغازي من مذمته ويلقيها على الضحية وفي نفس الوقت يلبس كل فضائل الضحية ويظهر بصورة تطهيرية خلاصية نقية. وبالعودة للمثال الأمريكي في الإبادة الثقافية يقول العكش: "ولا بأس أن يعرف هذا الهندي كل شيء الا ذاته". (العكش، حق التضحية بالآخر أميركا والابادات الجماعية، 2002). والمعرفة هنا سلاح استعماري يجرد الضحية من حقيقتها ومعرفتها بقوتها الكامنة، وسلاح يساعد المستعمر على التحكم وإدارة الضحية، يقول الانثروبولوجي نيكولاوس ديركس بأن الاستعمار كان بالتقنيات الثقافية للتحكم بقدر ما كان ممكن بفعل القوة والاضطلاع، وان الاستعمار بحد ذاته هو مشروع ثقافي للتحكم، فالمعرفة الاستعمارية مكنت الهيمنة الاستعمارية وكانت نتيجة لها في ذات الوقت Inglorious Empire ، Tahroor (2016 -، What the British Did to India).



● الثالثة التماهي (Assimilation)

هذه الآلية تأتي كمتمم للآلتين السابقتين، فبعد أن تم تنصيب المستعمر أو الغازي، كإنسان أعلى وأسمى يصبح هو المثل الأعلى الذي يجب على المضطهدين التمثل به للتخلص بؤسهم الذي سببته لهم حضارتهم "المتخلفة والرجعية"، هذا خطاب سمعناه كثيراً من ماكرؤن مثلاً فيما يخص افريقيا، الأمر لم يكن مجرد انتقاد عنصري مبطن بلبوس ثقافي، بل هو أولاً غسل لدور فرنسا في مأسى ومجازر وإفقار افريقيا الغربية ودعوة لاستمرار تبغية دول غرب افريقيا لفرنسا كمخلصة للبائسين السمراء، هنا أيضاً فالسابقة التاريخية تعود لروما، فهي دوناً عن الحضارات التي سبقتها وعاصرتها سعت إلى فرض نمط معيشتها ومعتقداتها على الشعوب التي هيمنت عليها.

فعندما يبدأ المستعمر بالتفكير بعقلية المستعمر، يصبح جندياً في جيشه، ودافع ضرائب لخزنته، وبوق لأفكاره ومبرر لسياسات وجرأته، هؤلاء هم من دعاهم مالكوم اكس بعيده المنزل (House Negro) هم أعداء أهلهم وشعبهم بمعرفة أو جهل، فهم يتماهون مع "السيد" ويتأملون لأمه، واعتبر فانون أن على الشعوب المضطهدة ان تبدأ بالانفلات من عقال هذا التماهي لتبني أسس تحررها (Fanon, 1963) إذ ادعى الرجل الأبيض في مختلف بقاع الأرض التي استعمرها لنفسه أنه ينقد أرواح هؤلاء البشر، بينما هو فعلياً كان يقوم بفعل التربية والتهيئة النفسية (grooming) ويعدها لتتقبل الاضطهاد والنهب تحت عنوان التحضر والمدنية، وبالفعل هذا التماهي هو غير معني بالذوبان والاحتواء فقط بل هو فرض مفاهيم وأخلاق جديدة لتسهيل عملية الهيمنة والنهب والاضطهاد، وأعود للعكش هنا "ودروس المدنية هنا شديدة الطرافة. وطراحتها ليست في أنها تنسب

للمدنية معنيين ونظميين اخلاقيين مختلفين باختلاف لون البشرة بل في أنها تعلم الهندي حب الملكية الخاصة من أجل أن يسلبه المستوطن كل ما يملك." (العكش، أميركا والآباء الثقافية "لعنة كنعان" الانجليزية، 2009).

تدمير الأسرة والمنظومة الأخلاقية

تقول البروفيسورة الهايتيّة يايينه بلو أن أي احتلال في أي بلد في العام سيجلب معه ارتفاع غير مسبوق بالدعاية، لأن الجنود سيحتاجون بنات الهوى، ولأن هذا الجنرال الأمريكي أو ذاك لن يذهب ويبحث عن فتيات الهوى في الشارع بل سيحتاج اختي وابنتي ليشبع بها حاجاته، وهو ما حصل في هايتي بعد احتلال 1994 وهذه ما حصل في تايلاند التي كانت قاعدة لانطلاق الحرب الأمريكية على فيتنام، انتهت الحرب وتحولت تايلاند إلى مركز عالمي لتجارة الجنس، بل أصبحت هذه التجارة هي مصدر دخل رئيس للدولة وأصبحت الدعاارة أمراً اعتيادياً في المجتمع، كل أفراد الجنس والتحولين جنسياً ومتعدد الهويات الجنسية والمحترفين بالأطفال يذهبون ويجدون ما هو ممنوع في بلادهم في تايلاند، هذا كله من مخلفات التحالف مع أميركا، كذلك في كوريا تم استعباد الكثير من النساء لتوفير الجنس للجنود الأميركيين، وتركة التحالف الأميركي لكوريا الجنوبية وال الحرب التي تسببت أميركا بها تتعدى انقسام البلد إلى كوريتين، بل بخلق مجتمع استهلاكي مشوه الهوية ومهووس بالجنس وتسليع المرأة، وأيضاً في اليابان فإن أهالي أوكييناوا يعانون من القواعد الأمريكية واغتصاب الجنود الأميركيين لنسائهم لليوم ولنشرهم الدعاارة في مجتمعهم، صحيح أن هذا التدمير الاجتماعي الأخلاقي في هذه الحالات يبدو كناتج عرضي لوجود جنود رجال وحيدين يريدون اشباع حاجاتهم بأي طريقة، ولكنه في التاريخ الأميركي موثق كعدوان ممنهج ومقصود لكسر الروح لدى الآخر، حالات الاغتصاب في المدارس الداخلية لأطفال السكان الأصليين في أميركا عامة وشاملة، وفي حالات كثيرة معترف بها كإجراء مكمل لعملية كسر و"قتل الهندي" و"تمدينه"، بل إن مدير مدرسة اعترف بأنه اغتصب كل الأولاد الأطفال الذين كانوا في مدرسته وسخر بالقول بأنه لم يترك طفلًا إلا وقد "مدنه" مثيراً إلى عملية الاغتصاب (العكش، أميركا والآباء الثقافية "لعنة كنعان" الانجليزية، 2009)، هذا أيضاً نراه في الإذلال الجنسي الذي تعرض له المسجونون في أبو غريب على يد الأميركيين، لذا فالامر يتعدى الحاجة والشهوة الجنسية إلى عملية التفكيك الاجتماعي والقهقر الأخلاقي والروحي للشعب المحتل والخاضع.

أيضاً هناك مسألة المخدرات، هناك الكثير من الحديث اليوم عن دور الولايات المتحدة وعلاقتها بزراعة وتجارة الأفيون في أفغانستان، وهناك الكثير من الحديث عن علاقة الولايات المتحدة الأمريكية الجدلية مع تجارة الكوكايين وعلاقة ذلك بالتحكم بكولومبيا واستهداف المجتمعات السوداء والفقيرة داخل أميركا، ولكن مما لا جدل فيه أن الرجل الإبليس استخدم المخدرات، واستعبد الناس في الهند، لزراعة الأفيون وتهريبه وبيعه للصينيين، لكي يستطيع شراء الشاي (الذي كان مطلوباً ومرحباً في ذلك الوقت ولا يزرعه إلا الصينيون) في القرن التاسع عشر دون الحاجة إلى دفع الفضة في المقابل، تسبب وباء الادمان على الأفيون انحلالاً وإشكاليات اجتماعية عميقة في الصين، فهو بالرغم من وجوده كعملة نادرة في السابق، لم يكن يشكل ظاهرة اجتماعية مربكة، إلا أن جشع البريطانيين حول الظاهرة إلى إشكالية اجتماعية واسعة الانتشار والخطر، وهذا ما نشرته أميركا في المجتمع عند احتلالها لهايتي، كما جلبت للجزيرة المجرمين من سجونها ونشرتهم لضمان تدمير المجتمع الهايتي، يكاد لا يخلو أي تدخل أمريكي من آفة

المخدرات وال الحرب عليها، اذ انها وبالرغم من تمركز تجارة المخدرات فيها، إلا أنها تشن حروبًا ضد خصومها بزعم أنها تحارب تجارة المخدرات، هذه الحروب كلفت مئاتآلاف الأرواح ومزقت مجتمعات كثيرة.

مع العولمة اليوم ووسائل الاعلام والتواصل الاجتماعي، يجد الاستعمار قدرة هائلة على "عولمة" أخلاق الفردانية والاستهلاكية وغيرها من القيم والمعتقدات التي تفتت المجتمعات، وتسهل التحكم بها، أهمية هذه المسألة للاستعمار والهيمنة تكمن في تزييف الوعي من ناحية، وتبديل الأولويات وال حاجات وتمزيق قدرة المجتمع على معرفة حقوقه والنضال لأجله، فلا يستطيع المجتمع حتى تعريف قضيّاه أساساً، وذلك بالإضافة إلى استهداف منظومة القيم المحلية من ضمن حملة الإسقاط والتّشویه، نرى أمثلة كثيرة لهذا، مثل وهم الحلم الأميركي الذي مزق الاتحاد السوفييّت في حلم كثيرين وإن لم يكونوا الأكثرية بالوصول اليه، الطريقة التي قمت بها خصخصة الأموال العامة وسرقتها من قبل حفنة من رجال الأعمال بقيادةأمريكية، لا تزال تشكل اليوم أحدى أكبر سرقات العصر، مقابل موسيقى غربية وملاهي ليلية وبنطرون الجينز، تم تدمير دول ومجتمعات واقتصادات ملابس البشر، طبعاً انهيار الاتحاد السوفييّت عملية معقدة ولها آليات سياسية واقتصادية داخلية وخارجية ضخمة، ولكن هنا أتحدث عن الرأي العام الذي لم يستطع استيعاب ما يحصل من نهب ولا التحرك ضد هذه السرقة بشكل مجيد وذلك لأن الولايات المتحدة الأمريكية كانت قد نصبّت شبكة واسعة ومحكمة من المؤثرين بالرأي العام من صحفة وجمعيات حقوقية وسياسيين، باعتهم وهم الحلم الأميركي والحقوق الفردية بينما كانت تسرقهم بالجملة.

تحوير الهوية

وهو نمط آخر من كبديل للإلغاء هوية الشعب المستعمر بشكل كامل ومحو ومحاجمة ثقافته، بحيث تكون منقحة ومحورة من قبل المستعمر بالشكل الذي يخدم أهدافه ومصالحه، مثل الدور البريطاني في خلق الهويات الوطنية الجديدة في المنطقة العربية وبالذات الهوية الأردنية وإعادة نحت البداوة والرجلولة بما يناسب ويخدم مصالح الاستعمار البريطاني والدور الذي لعبه لورنس في سياسة العرب وما سمي بالثورة العربية الكبرى، وهو يتماهى معهم ويداهنهم وأسلوب عيشهم ويطّوّعه في نفس الوقت (Massad, 2001) وعندما تلطّفت الإبادة الثقافية في أميركا الشمالية أيضًا سمحت وأعادت تشكيل الهوية الثقافية للسكان الأصليين بما يمحى ويبيّض صفحتها ويظهرها بشكل متسامح مع التعددية و"الآخر" بشكل فلكلوري سياحي مفرغ من أي كيانية سياسية تحمل أي بذور للتحرر، بعض الطقوس الشكلية التي يسمح ويقبل بها الرجل الإبيض (العكس، أميركا والابادات الثقافية "لعنة كتعان" الانجليزية، 2009).

وهنا لن نعود في التأصيل إلى الرومان، بل إلى الإغريق، وإلى الإسكندر المقدوني تحديداً، الذي كان يعلم حجم مقدونيا الحضاري والثقافي في مقابل الشرق، وكان يعلم أن إخضاع الآخر عسكرياً له مفعول قصير الأمد، وأنه لا يمكنه التوسيع برشاقة كالتي قام بها والغزو شرقاً بتلك السرعة لو كان عليه التعاطي مع التمرد في البلدان المفتوحة عسكرياً، لهذا لجا إلى لبس لباس الدول التي غزاها دينياً وثقافياً لتهديه وامتصاص رد الفعل الشعبي، ولإخفاء حقيقة الغزو الخارجي والظهور كابن وأخ وحتى إله لهذا الشعب أو ذاك ويتجنب إثارة الحساسيات الدينية والعرقية والحضارية، وهذا ما فعله في بابل ومصر وببلاد فارس، وبهذا أنتج قادة جيشه الذين حكموا هذه البلاد ما يسمى بالعصر الهيليني، الذي تزاوجت فيه الثقافة الاغريقية مع بقية الثقافات المشرقية الأكثر عراقة وغموضاً.

هذا الأسلوب بالذات سُرّاه يتكرر كثيراً في التاريخ ولكن أبرز من استخدمه هو نابليون بونابرت في حملته على مصر، إذ كانت مصر تمثل حجر أساس لقطع الطريق على بريطانيا بعد أن سيطرت على الهند بشكل كامل وأخرجت بقية القوى الأوروبيّة منها، احتاج الفرنسيون لاخضاع مصر وضمان ولائها على المدى الطويل وكان بونابرت مستعداً للتمادي في ادعاء جبهة للإسلام والقرآن، لدرجة أنه كان على وشك أن يجبر كامل جيشه في مصر على اعتناق الإسلام ليحظى بمباركة رجال الدين المسلمين ويتفادى المقاومة، ومن المرجح أن هذا النموذج هو الذي استأنسه أوباما عندما جاء إلى القاهرة وألقى خطابه الشهير قبيل عشرية ما يسمى بالربيع العربي المدمر والذي كان يراد له إخضاع المنطقة العربية للاخوان المسلمين وتسلیم ناصيتها لتركيا بقيادة أردوغان كوكيل لمصالح الناتو. هنا نجد إذن نوع من تقليم الهوية الثقافية وتطويقها وقلبها رأساً على عقب مع الحفاظ على قشرة خارجية تقليدية، ونرى أيضاً مداهنة من النخب المستعمرة لثقافة المستعمر ليقبل الأخير ما يراد منه أن يكون وكيف عليه أن يفكر ومصلحة من عليه أن يخدم، وربما قد لا يعلم كثيرون أنهم دمية في يد عدوهم.

HARPER'S WEEKLY

A JOURNAL OF CIVILIZATION

Vol. XXXI.—No. 1221.
Copyright, 1898, by Harper & Brothers.
All rights reserved.

NEW YORK, SATURDAY, AUGUST 27, 1898.

TEN CENTS A COPY.
FOUR DOLLARS A YEAR.



UNCLE SAM'S NEW CLASS IN THE ART OF SELF-GOVERNMENT.

١. الهيمنة السياسية

التحالفات وخيانة النخب

منذ نشأة الظاهرية الامبراطورية، كان هناك دائمًا نخب مستعدة لخدمة القوى الخارجية على حساب شعوبها، بعضها كنتيجة هزيمة عسكرية وبعضها كنتيجة ضعف وبراغماتية وأنانية وحب للسلطة، انتشار هذه الظاهرة جغرافياً وتاريخياً، يجعل من حصرها واستعراضها بشكل وافي أمراً صعباً.

فيما يخص الرومان، فكما قلنا أنهم فرضاً ثقافتهم على الآخرين، واستعانوا في نفس الوقت بحكام محلين ليضبطوا الأمن ويؤمنوا الثروات والضرائب، في فترة صعود الامبراطورية الرومانية، كانت تم بحقبتها الجمهورية، كان الغزو والقوة والهيمنة أبرز دلائل رضا الآلهة ومكارم الأخلاق، فهذه الثقافة تمجّد القوة لذاتها كأخلاق حميدة، هذا ترافق مع وجود مجلس شيوخ محصور بعائلات من سلالات المقاتلين تحكم بالدولة، وكانت الطريق الأقصر للقمة هي النصر العسكري، لذلك فإن التنافس على الغزو كان يلبي المصلحة العامة للدولة وخاصة للطموحين من "النبلاء" حينها، عندما سيطرت روما على المتوسط أو الجزء المفيد من العالم كما يراه الرومان، بدأت الدولة ت نحو نحو الحكم الفردي، وتبتعد عن الجمهورية، وهذا ما حاول الامبراطور اغسطس تكريسه، فهو يريد أن يكون امبراطوراً مؤبداً ويفني أي احلام بالعودة للجمهورية، لهذا السبب أقام ما يسمى بـ"مذبح السلام الأغسطسي" وهو مذبح مكرس للسلام كان يتفاخر اغسطس أن ابوابه كانت مغلقة طوال العام، فيما عدا أيام تقديم الذبائح السنوية، اذ سعى اغسطس الى كسب ولجم جنوح الرومان الى الحرب، وذلك بشكل أساسى يكى لا يصعد من بين الجبالات من يكتسب شعبية بانتصاراته العسكرية وينافسه على العرش ويشكك بشرعية بيته⁵.

وبالنسبة للسلام، فمن الضروري ان ننوه إلى أن السلام بالمفهوم الروماني هو الإخضاع التام للخصم، ولهذا فإن مذبح السلام هذا تزين بأطفال ملابس "بربرية" وهؤلاء بحسب د. كليرنر ود. بوكستون هم نذور الامبراطورية (Kliener و Buxton، 2008)، هم أطفال وأبناء وأولياء عهد الملوك الخاضعين لروما، بالأصل هم رهائن، لكن في العصر الأغسطسي هم أكثر من ذلك هم رومانيون في القلب والروح وعندما يكبرون سيصبحون رسلاً لروما في بلادهم، ويعودون لبلادهم ويحموها لخدمة روما ومصالحها، هم رومان بكل شيء فيما عدا الملبس، وهنا فيما يخص الملبس، فإنه يحمل رسالة للداخل الروماني قبل الخارج، ويقول أن هؤلاء هم تركة الامبراطور وهم مستقبل الامبراطورية ولباسهم يظهر قوتها وسيطرتها على الآخرين وأهمية مستعمراتها (Buxton و Kliener، 2008) هناك تشابه هنا فيما فعله اغسطس بما فعلته المملكة فكتوريا أيضاً، فحينما تم تهميشها من الحياة السياسية وتكريس دورها كملكة صورية، واحتاجت أن تعود إلى الحياة السياسية لجأت إلى تتويع نفسها كامبراطورة على الهند، في رسالة أن المستعمرات تعوض عن الداخل، لا بل أنها أهم وأكثر حيوية، في حالة أغسطس هو كان قوياً في الداخل والخارج ولكن، أراد أن يعلم كل المنافسين أن مستقبل المستعمرات في يده هو وحده، بأبناء ملوك المستعمرات الذين يربى لهم في منزله ويُعدهم من عائلته ويعاملهم ويعدهم كالرومان ليعيدهم للمستعمرات، وأن لا أحد من المنافسين يمكن أن يمتلك قوة أكبر منه في المستعمرات.

هذه القيادات المستوردة التي تربى في الغرب وتتقمص شخصيتها وتتصبح ممثلة لمصالح موجودة اليوم بشخصيات مثل كرزاي، أو بعض أبناء ملوك العرب الذي درسوا وترزوا في الغرب، هؤلاء يختلفون عن آبائهم بالرغم من ولاء الآباء للاستعمار، إلا أن أبنائهم يتقمصون شخصية الغربي ونظرته الاستعلائية على الشعوب الأخرى، ومنها شعوبهم،

⁵ الأمر يشبه ما قام به لويس الرابع عشر مع طبقة النبلاء في فرنسا، اذ روضها وحولها من طبقة اقطاعيين امراء حرب يشكلون تهديداً لشرعنته الى طبقة من النبلاء والمترفين المسجونين في فرساي يتنافسون لنيل الرضى الملكي بالاتيكيت والموضة.

هؤلاء أيضاً تجدهم بين نشطاء المنظمات غير الحكومية، فهذه المنظمات تعمل على إعادة تشكيل وصقل وعي المنخرطين فيها، وتبدل منظومتهم الأخلاقية ومع منحهم مستوى معيشى جديد أعلى ويصعب الحصول عليه خارج هذه المنظمات، بينما هؤلاء الشباب بالنظر بشكل استعلائي وفوقى إلى محیطهم وبينهم واحتقارها ويبدأون باستبطان مصالح الغرب واستعمال خطابه، عن وعي أو دون وعي، فجزء منهم مقتنع أنه يدافع عن قيم وأخلاقيات عالمية لكل البشر ولا يعتقدون أنها تخدم خطاب مصلحة الغرب ضد الشعوب الأخرى خصوصاً أن لدى هذه المنظمات أسلوباً في سوق الرأي العام، أسميه بقيادة الغدد الصماء، بمعنى، هذه المنظمات معنية أن تنفذ أجندتها ولكنها تريد في نفس الوقت أن تتبّع أفكار أجندتها على شكل مقتراحات من لاعبين محليين يمثلون "المجتمع المدني"، لذلك فهي وبالتنسيق مع الحكومات الغربية تقوم بوضع قائمة أولويات تتعدد بشكل دوري بحسب حاجاتها السياسية، هذه الأولويات هي عناوين تأخذ أولوية في التمويل، وبذلك ترى في كل فترة هناك موجة مختارة من الحقوق يتم الدفاع عنها وشنّ الحملات وتنظيم المجتمع المدني لأجلها بشراسة، ما يحصل هنا، أنّ هذا العنوان هو أصبح من الأولويات التي تستحق التمويل، طبعاً هناك الكثير من المنظمات المرتبطة بشكل مباشر وواعي وغير موارب مع الحكومات الغربية، ولكن المنظمات الأولى هي أكثر محلية ولأن ارتباطها غير مباشر فلها مصداقية أكبر، كما أن هذا اسلوب للتوجيه المنظمات المحلية التي تبحث عن تمويل ولكنها لا تقبل أن تستلم أجندـة جاهزة من الخارج، وهذه الآلية تؤمن لها وهم الاستقلالية وأن برامجها محلية الصنع.

أما بالنسبة للاستعمار الأوروبي، فإن المثال الصارخ هو استعمار بريطانيا للهند، إن الاستعمار البريطاني للهند هو أشبه بمحجزة بالنسبة للبريطانيين، فهم بمساحة وعدد السكان والحضارة والاقتصاد مجرد جزيرة صغيرة تحاول الحفاظ على بعض المخافر التجارية على ساحل الهند، وتحاول البقاء في المنافسة بينها وبين بقية المخافر الأوروبية الأخرى، كان لبريطانيا شركة الهند الشرقية، تقوم بالتجارة والاستعمار في آن، وكانت كما بقية القوى الأوروبية متلك جيشاً صغيراً من المرتزقة الهنود، الذين يعملون بشكل متوازن مع الحكماء الهنود المحليين⁶، إلا أنه وبالتأكيد أن قلة من البيض لم يكونوا ليحكموا قارة بدون الجنود والحكام الهنود المتواطئين وتمكنـت بريطانيا بفعلهم إلى استنزاف شبه القارة الهندية من لاعب اقتصادي عالمي شكل 27% من الاقتصاد العالمي قبل مجيء البريطانيـن إلى بلد موبوء بالفقر والحساسيات الدينية والجوع وممزق مؤسساتياً وبدولة مهترئة وعاجزة وباقتصاد لا يشكل أكثر من 3% من الاقتصاد العالمي عشيـة الاستقلال (خلال قرنين ونيف من الزمن) (Tahroor, Inglorious empire, what the british did to india, 2017) فنتيجـة لأن النخبـة السياسية الوطنية درست وعملـت ضمن الثقافة البريطانية، فإن مواقفـها في كثير من الأحيـان كانت لينة، وتحملـ الكثـير من حسن النوايا تجاهـ البرـيطـانيـين الذين جـوـعوا وقتلـوا مـلاـينـ الهـنـودـ، فـمـثـلاً دـعمـ زـعـماءـ وطنـيونـ هـنـودـ الـذـينـ يـنـادـونـ بـالـمقـاـومـةـ السـلـمـيـةـ ضـدـ الـاسـتـعـمـارـ الـبـرـيطـانـيـ، إـرسـالـ جـنـودـ هـنـودـ يـقـاتـلـونـ مـلـصـلـحةـ الـامـبرـاطـورـيـةـ الـبـرـيطـانـيـةـ ضـدـ شـعـوبـ مـضـطـهـدـةـ أـخـرـىـ خـلـالـ حـرـبـ الـعـالـمـيـةـ الـأـوـلـىـ، طـبعـاًـ بـأـنـ تـعـاملـ بـرـيطـانـيـاـ الـهـنـديـ كـنـدـ وـصـدـيقـ محـترـمـ، وـمـقـابـلـ وـعـودـ بـمـنـحـ الـهـنـدـ اـسـتـقـلـالـهـ، طـبعـاًـ بـرـيطـانـيـاـ نـكـثـتـ وـعـدـهاـ بـعـدـ الـحـرـبـ، بلـ قـمـعـتـ أيـ تـحـركـاتـ مـطـالـبـةـ بـالـاسـتـقـلـالـ، وـارـتكـبـتـ مـجـازـرـ مـرـوـعةـ حـتـىـ بـحـقـ هـنـودـ يـحـتـفـلـونـ بـأـعـيـادـ لـاـ عـلـاقـةـ لـهـاـ بـالـقـضـيـةـ الـوطـنـيـةـ، وـفـيـ ذـاتـ الـلحـظـةـ التـارـيـخـيـةـ هـذـهـ قـامـتـ بـرـيطـانـيـاـ وـبـكـلـ نـفـاقـ بـإـدـرـاجـ الـهـنـدـ كـدـولـةـ فيـ مـيـثـاقـ الـأـمـمـ، لـيـسـ كـاعـتـرـافـ بـاسـتـقـلـالـهـ، وـلـكـنـ لـضـمـانـ صـوتـ اـضـافـيـ فـيـ الـعـصـبـةـ الـأـمـمـ (Pershad, 2020)، صـحـيـحـ أـنـ النـخـبـةـ الـوطـنـيـةـ الـهـنـديـةـ اـسـتـفـاقـتـ بـعـدـ هـذـهـ الـخـدـيـعـةـ وـالـمـجاـزـرـ الـتـيـ رـافـقـتـهـاـ، وـلـكـنـهاـ اـسـتـمـرـتـ بـالـتـعـامـلـ بـعـقـلـانـيـةـ ضـدـ الـاسـتـعـمـارـ الـبـرـيطـانـيـ، فـيـ

⁶ انظر المقال الملحق عن تاريخ استعمار الهند كنموذج

الوقت الذي كانت بريطانيا تحضر لهم الإرهاب والتقسيم والعمل على ضمان استقلال مدمر للهند إن اضطررت له الإمبراطورية، كما هو وارد في المقال الملحق.

وفيما يخص السكان الأصليين لأميركا الشمالية ففي البداية تحالف المستعمرون مع بعض القبائل وقادتها وطبعاً خانوهم بعد أن استنفذت الحاجة إليهم، أو عندما أصبح قتلهم مربحاً، وفي الوقت الذي رصدت جوائز للصيادين على فروات "الهنود" قام المستعمرون بالإغارة على الحلفاء "كان الصيادون يتعهدون قري معينة ولا ييقون فيها فروة واحدة. حتى أن القرى المكسيكية وراء الحدود صارت هدفاً للصيادين. ولأن فروة "رأس الهندي" الحليف" لا تختلف عن فروة الهندي العدو، وأن صيدها أسهل، وأن أخلاق السوق لا تعنيها هذه التفاصيل التافهة فقد ركزت هذه التجارة جهودها على صيد رؤوس الحلفاء ولا سيما أولئك الذين تطهرت أرواحهم واستعاروا لأنفسهم أسماء قديسين". (العکش، حق التضحية بالآخر أميركا والابادات الجماعية، 2002).

وفي حالة "هنود" السيمينول، الذين قاوموا وأفشلوا كل محاولات اقتلاعهم من أرضهم، من تجويح وحرق أرض وحروب مباشرة، وبعد اقتراحات عدة، تم اقتراح تشكيل مجالس سلام ليتم من خلالها إلقاء القبض على السيمينول، وتم شراء الذمم لبعض الخونة الذين أوقعوا إخوتهم في فخ المفاوضات وبكلمات العکش"ثم أنه اشتري ذمم بعض الهنود وأرسلهم إلى زعماء السيمينول لكسب ثقتهم وإقناعهم بعدم جدوى المقاومة وبضرورة التفاوض معهم تحت خيمة السلام حيث سيقوم الأميركيون بالخلص من الهنود الخادعين والمخدوعين معاً. وهذا ما جرى." (العکش، أميركا والابادات الثقافية "لعنة كنعان" الانجليزية، 2009) ومن أوائل هذه الابادات التي تم التدشين لها بمعاهدات سلام، هي مجزرة البييكو وأخرها كان مجزرة وونديدي في كلت المجزرتين وبينهما سلسلة لا متناهية من معاهدات السلام والاتفاقيات المصممة لخفض دفاعات أصحاب الأرض ومن ثم القضاء عليهم بدون رحمة وفي كل قصة عبر ودروس تنطبق على سياسة وعقلية الولايات المتحدة اليوم وتفسر نهجها في التعامل مع شعوب العالم.

أما في المرحلة التالية، فقد قام الأميركيون بإنشاء مديرية الشؤون الهندية عام 1806 والتي ألحقت بوزارة الحرب الأميركيّة وبعدها في عام 1869 ألحقت بوزارة الداخلية، وترأسها شخص هامشي من السكان الأصليين ولكنه كان يبالغ في تماهيّه وانغماسه في ثقافة الرجل الأبيض باسمه الجديد ومظهره والأهم في تأمّره ضد شعبه خدمة للمستعمر، هذه المديرية تغير اسمها وأصبحت تعرف بمكتب الشؤون الهندية عام 1934، مارس هذا المكتب دور السلطة الفلسطينية اليوم في الضفة الغربية، وفي وقتها فهو ساهم في خطف الأطفال ، وإن لم يقم بخطف الأطفال كان المكتب يجبر الأهالي على تسليمهم بالارهاب والعنف، وآخفاء حقيقة الواقع المريع الذي حل بهم في المدارس التي كان معدل الموت فيها 50%， وطبعاً كان يحرض على منعهم على ايجاد اطفالهم مدى الحياة، وعمل هذا المكتب على الغاء أكثر من 100 شعب أصلي معترض به وما لحق ذلك من نهب للثروات والأراضي، وعمل بكل حثيث على استكمال عملية التذويب والابادة الثقافية، كما ساعد على تعزيز 42% من نساء شعبهم وذلك استمر حتى السبعينات من القرن الماضي، وغطى على دفن النفايات النووية في اراضي شعب النافاهو، كما ساهم في تحويل بعض مناطقهم إلى حقول تجارب طبية بشرية كما حصل مع شعب الانوبيت، كل ذلك تحت شكل من اشكال الحكم الذاتي. (العکش، أميركا والابادات الثقافية "لعنة كنعان" الانجليزية، 2009) و (العکش، حق التضحية بالآخر أميركا والابادات الجماعية، 2002).

في أميركا اللاتينية شكلت النخب ذراعاً للاستعمار الإسباني، وشكلت طبقة مرتبطة بالمصالح والعلاقات بأوروبا وهذه التبعية جعلتهم غير معنيين ببناء أي صناعة أو تنمية حقيقة، زادت عمالة هذه النخب وتبعيتها بعدما تخلصت من الاستعمار الإسباني بمساعدة الصديق البريطاني، الذي أراد أن تكون أميركا اللاتينية سوقاً بديلاً يغدوه عن أميركا المستقلة عنه لا بل كانت السوق في أميركا اللاتينية أكثر انفتاحاً وانصياعاً وتبعية للبريطانيين من مستعمراتهم السابقة

(غاليانو ا، 2016)، وسأفصل ذلك أكثر تحت بند اختلاق الحروب، أما في سبعينيات القرن الماضي وانطلاقاً من التشيلي تحديداً، شكلت مجموعة من الطلاب التشيليين الذين درسوا الاقتصاد على يدي ميلتون فريدمان وزميله، ومؤلهم وكالة الاستخبارات المركزية لاعداد مخطط اقتصادي مفصل لهم الاقتصاد التشيلي تحت عنوان الاقتصاد الحر والمنافسة والسوق المفتوح، الذي تسابقت البنوك الامريكية إليه لفرض القروض المربحـة، حرية السوق التشيلي على يدهم وصلت إلى حد يعترف فريدمان نفسه انه غير مطبق في الولايات المتحدة نفسها، هؤلاء رأوا أنه لا بأس بالاطاحة بحكومة منتخبـة، عن طريق انقلاب عسكري وحشـي، لا بل هم حضروا له وأقعموا الجنرالات العسكريـن بأنـهم سيوفرون لهم الدعم والغطاء الـايدـيـلـوجـي والفكـري لغسل دماء المذبحة التي سيقومون بها وبحكم الحـدـيد والنـار على البـشـر، الذي سيؤمن لـرأـسـ المـالـ حـرـيـتهـ المـقدـسـةـ (Letelier، 1976)، هـؤـلـاءـ أـطـلقـواـ مـوجـةـ منـ الانـقلـابـاتـ العسكريـةـ الدـمـوـيـةـ فيـ القـارـةـ الجـنـوـبـيـةـ، وـشـرـعـواـ اـقـتـحـامـ الشـرـكـاتـ الـأـمـرـيـكـيـةـ وـعـودـتـهاـ فيـ حالـاتـ كـثـيرـةـ، وـتـفـكـيـكـ مـشـارـيعـ التـأـمـيمـ وـاعـطـواـ لـشـرـكـاتـ التـعـدـيـنـ ضـوءـ أـخـضـرـ لـنـهـبـ المـعـادـنـ وـاسـتـعـبـادـ البـشـرـ وـتـرـكـ خـزـينـةـ الدـوـلـةـ جـوـفـاءـ وـادـعـواـ أـنـ أـفـضـلـ حلـ لـلـتـرـهـلـ هوـ الـخـصـصـةـ وـبـالـخـصـصـةـ أـفـلـسـتـ الدـوـلـةـ، فـتـخلـتـ عنـ وـاجـبـاتـهاـ تـجـاهـ الـمـوـاطـنـيـنـ وـفيـ ذاتـ الـوقـتـ اـقـتـرـضـتـ منـ الـبـنـوـكـ الـأـمـرـيـكـيـةـ وـالـمـؤـسـسـاتـ الـنـقـدـيـةـ الـدـوـلـيـةـ بـأـسـعـارـ فـائـدـةـ جـنـوـبـيـةـ، أـمـوـالـ مـيـلـ نـصـفـهاـ إـلـىـ بـلـدـانـهـمـ وـأـمـاـ النـصـفـ الثـانـيـ فـتـهـمـ نـهـبـهـ مـنـ قـبـلـ النـخـبـ، وـهـذـاـ الـدـيـنـ الـذـيـ كـانـ بـفـوـائـدـ السـرـطـانـيـةـ أـصـبـحـ هوـ الرـاصـاصـةـ الـمـسـلـطـةـ عـلـىـ رـأـسـ الـعـمـلـةـ الـو~طنـيـةـ فيـ حـالـ فـكـرـ أـحـدـهـمـ بـالـتـحرـرـ مـنـ السـوـقـ الـحـرـ، النـخـبـ الـخـائـنـةـ هـذـهـ تـدـمـرـ بـلـدـانـهـاـ، خـدـمـةـ لـلـمـسـتـعـمـرـيـنـ تـنـالـ نـفـسـ الـقـدـرـ مـنـ الـاحـتـرـامـ مـنـ قـبـلـ شـعـبـهـاـ وـمـشـغـلـيـهـاـ الـمـسـتـعـمـرـيـنـ، فـمـنـ الـمـعـرـوفـ أـنـ الـو~لـاـيـاتـ الـمـتـحـدـةـ دـعـمـتـ حـكـمـ الـدـيـكـتـاتـورـ الـمـجـرـمـ سـوـمـوـثـاـ فيـ نـيـكارـاغـواـ، وـمـنـ الـمـعـلـومـ انـهـمـ كـانـوـ يـجـدـونـهـ مـجـرـمـاـ بـشـكـلـ مـبـالـغـ فـيـهـ، وـعـنـدـمـاـ سـئـلـ رـوزـفـلـتـ عـنـهـ أـجـابـ:ـ "ـنـعـمـ، اـنـهـ اـبـنـ **ـ، وـلـكـهـ اـنـ الـ**ـ الـخـاصـ بـنـاـ".ـ

دعم الثورات

ظاهرة دعم الثورات من الخارج ليست ظاهرة جديدة، يبدو أنها تعود إلى القرن الثامن عشر، ودعم الثورات في تلك الحقبة كان يتم بدعم واستضافة المعارضين السياسيـينـ والقياداتـ الثوريـةـ، إلى الدعم السياسيـ والماليـ والعـسـكـريـ، وـحتـىـ لوـ كـانـ الـثـورـاتـ هـذـهـ مـحـقـقـةـ، إـلـاـ أـنـ بـعـضـ الـقـادـةـ الـمـمـولـيـنـ مـنـ الـخـارـجـ سـاقـواـ الـثـورـةـ مـلـصـلـحـةـ دـاعـمـيـهـاـ الـخـارـجيـنـ.ـ فالـفـرـنـسـيـوـنـ دـعـمـوـاـ الـثـورـةـ الـأـمـرـيـكـيـةـ عـلـىـ إـنـجـلـيـزـ ضـمـنـ الـصـرـاعـ الـاستـعـمـارـيـ بـيـنـ الـإـمـپـرـاطـورـيـتـيـنـ، فـرـدـ الـإـنـجـلـيـزـ وـدـعـمـوـاـ الـثـورـةـ الـكـوـرـسـيـكـيـةـ ضـدـ الـفـرـنـسـيـيـنـ لـتـشـكـلـ تـهـدـيـدـاـ لـلـعـرـشـ الـفـرـنـسـيـ، وـالـحـقـيقـةـ أـنـ باـوـلـيـ قـائـدـ الـثـورـةـ الـكـوـرـسـيـكـيـةـ كـانـ مـنـفـيـاـ فيـ بـرـيـطـانـيـاـ وـمـدـعـومـاـ مـنـهـاـ، وـهـوـ شـكـلـ الـشـخـصـيـةـ الـتـيـ أـهـمـتـ لـلـمـفـارـقـةـ-ـ نـابـلـيـونـ بـوـنـابـارتـ، وـبـيـنـمـاـ خـسـرـتـ بـرـيـطـانـيـاـ أـسـوـاقـهـاـ فيـ أـمـيرـكـاـ دـعـمـتـ الـثـورـةـ الـبـولـيفـارـيـةـ ضـدـ الـاستـعـمـارـ الـإـسـبـانـيـ فيـ أـمـيرـكـاـ الـلـاتـيـنـيـةـ، وـذـلـكـ لـخـلـقـ أـسـوـاقـ جـدـيـدةـ، الـفـرـقـ بـيـنـ الـاستـعـمـارـ الـاـحـلـالـيـ فيـ شـمـالـ اـمـيرـكـاـ وـالـنـمـوذـجـ الـكـمـبـرـادـورـيـ فيـ جـنـوبـهـاـ جـعـلـ مـنـ الـاـرـجـنـتـنـ وـالـبـراـزـيلـ أـسـوـاقـ أـكـثـرـ مـنـ مـثـالـيـةـ لـبـرـيـطـانـيـاـ (ـ غالـيانـوـ اـ، 2016ـ)، أـمـيرـكـاـ بـدـورـهـاـ دـعـمـتـ الـثـورـةـ الـكـوـبـيـةـ⁷ـ ضـدـ الـاستـعـمـارـ الـإـسـبـانـيـ بـهـدـفـ شـنـ الـحـربـ وـالـاستـيـلاءـ عـلـىـ مـاـ تـبـقـيـ لـأـسـبـانـيـاـ مـنـ مـسـتـعـمـرـاتـ، خـصـوصـاـ الـجـزـرـ الـتـيـ تـقـعـ فـيـ الـمـجـالـ الـحـيـويـ الـأـمـيرـكيـ كـماـ الـفـيـلـيـبـينـ الـتـيـ تـقـعـ فـيـ الـمـجـالـ الـحـيـويـ الـصـينـيـ، اـذـ رـأـيـ الـأـمـرـيـكـيـوـنـ أـنـ الـصـينـ اـذـ اـسـتـعـادـتـ اـسـتـقـلـالـهـاـ سـتـشـكـلـ تـهـدـيـدـاـ حـقـيقـيـاـ لـمـ صالحـ الـغـرـبـ، وـعـلـىـ رـأـسـ هـؤـلـاءـ كـانـ الـفـرـدـ مـاـهـاـنـ الـمـنـظـرـ الـأـوـلـ لـلـتوـسـعـ الـأـمـرـيـكـيـ خـارـجـ الـقـارـةـ

7 في تلك الفترة كان الرأي العام منقسمـاً مع وضـدـ الـحـربـ، وبـعـضـ الـمـحـرـضـيـنـ عـلـىـ الـحـربـ وـظـفـواـ الصـحـافـةـ لـعـرـضـ مـآـسـيـ "ـالـاخـوـةـ الـكـوـبـيـنـ"ـ وـمـعـانـاتـهـمـ تـحـتـ نـيـرـ الـاستـعـمـارـ الـإـسـبـانـيـ الـمـتـوـحـشـ وـالـظـاطـمـ، وـهـذـاـ حـقـيقـيـ، لـكـنـ غـيرـ الـحـقـيقـيـ هوـ الـتـعـاـفـ، فـمـعـظـمـ الـمـحـرـضـيـنـ كـانـوـ رـجـالـاـ بـيـضـ أـثـرـيـاـ لـهـمـ مـصالـحـ، وـعـنـصـرـيـنـ وـيـنـظـرـوـنـ لـلـكـوـبـيـنـ نـظـرةـ فـوـقـيـةـ لـكـونـهـمـ سـمـرـ الـبـشـرـةـ، مـنـ بـيـنـ هـؤـلـاءـ ثـيـودـورـ رـوزـفـلـتـ، الـذـيـ فـيـ أـوـلـ اـنـزاـلـ لـهـ فـيـ خـلـيـجـ الـخـنـازـيرـ، حـاـوـلـ مـعـاـيشـةـ اـحـلامـهـ الـفـرـوـسـيـةـ الـعـسـكـرـيـةـ وـكـانـ الـانـزاـلـ كـلـهـ سـيـفـشـلـ مـنـ عـدـةـ قـنـاصـةـ اـسـبـانـ، وـلـكـنـ مـنـ اـنـقـذـهـمـ هـمـ الـثـوارـ الـكـوـبـيـوـنـ سـمـرـ الـذـيـنـ كـانـ يـنـظـرـ لـهـمـ رـوزـفـلـتـ بـعـرقـ هـمـجيـ.

والسيطرة على البحار، وهو كمنظر للقوة البحرية وضرورتها لأمريكا اعتبار ان أمة بهذا الحجم (عن الصين) وبهذا العدد الهائل من السكان، والتجانس الثقافي، اذا استطاعت تعلم التقنية والصناعة الغربية ستسسيطر على العالم لذا من الواجب تطويق مجالها الحيوي وخصوصاً البحري (Sempa, 2014). وبعد سيطرة الأميركيين على كوبا قاموا بتعيين الجنرال توماس استرادا بما رئيسيّاً عام 1902 بعد أن تخلى عن جنسيته الأميركيّة حيث كان منفيّاً، وكثائر نموذجي مدعاوم من أميركا فتح أبواب كوبا للأعمال والمصالح الأميركيّة "لدرجة أنّ السفير الأميركي كان الشخصية الثانية في البلاد، وأحياناً يكون أهم حتى من الرئيس الكوبي" (غاليانو ا., 2016).

اليوم تعمل أميركا على خلق الثورات والتحركات والهويات المتنازعة والانفصالية والفوضى، ولا يهم إن كان هناك مطالب محققة يمكنها استغلالها، فهي تخلقها عند الحاجة، وبعد تجربة الانقلابات في أميركا اللاتينية ارتأت الادارة الأميركيّة أن عليها ان تكون اليد الخفية، ولا تكون هي في الواجهة، وهكذا من أفغانستان إلى البلقان ومروراً بالربع العربي، إلى حراك المثليين في روسيا، إلى قضية انفصاليي الإيغور في الصين الذين صنفتهم أميركا بإرهابيين، بقدرة قادر ومصالح أميركية تحولوا إلى ثوار، وربما تكون بداية هذا التحول في دول حليفة للولايات المتحدة الأميركيّة فرنسا وأستراليا، في الأولى يعتقد أن أميركا حركت الثورة الطلابية في أيار 68 ردّاً على موقف ديجول من حلف الناتو عام 67، وفي أستراليا عملت أميركا وبشكل موثّق اليوم بوضوح على إسقاط حكومة العمال التي انتقدت الحرب على فيتنام، وقُنِّت من كل الأطراف وقف العنف، هذا الموقف الوسطي غير الحاد أثار حفيظة الولايات المتحدة الأميركيّة ضد هذه الحكومة ودفعها لخلخلتها واختلاق أزمات وتسعيّرها باستخدام الإعلام، وسقطت الحكومة عام 75 بشكل منافي للدستور فالولايات المتحدة لا تحترم سيادة الحلفاء قبل سيادة الاعداء.

خلق الحساسيات الطائفية والعرقية

من أفضل المداخل للمستعمر هي استغلال الحساسيات العرقية والطائفية، لا بل يعمل على اختلاقها إن لزم الأمر، كما حدث في حالة الهوتو والتوتسي في راوندا على أيدي البلجيكيين والألمان من بعدهم ومن ثم الفرنسيين والبريطانيين، في حالة الهند هذه الحساسيات تم خلقها وإدارتها بشكل دقيق من قبل البريطانيين كما هو موضح في المقال الملحق. وفي حالة المكسيك، فإن حضارة الأزتيك وعاصمتها تينوشتيتلان تم السيطرة عليها بـ 16 حصاناً، وأكثر من 500 جندي بقيادة هيرناندو كورتيس، في ذلك الوقت كانت عاصمة الأزتيك أكبر من مدريد بخمس مرات (غاليانو ا., 2016) بفضل استطلاعه الجيد، استطاع كورتيس من اكتشاف ان مملكة الأزتيك هي المكان المنشود لنهب الذهب، واكتشف العداوة بين الأزتيك والتلاكسكالا الذين تحالف معهم وبدونهم لم يكن من الممكن له أن يدمر حضارة من أعرق وأضخم حضارات القارة بقوّة صغيرة بذلك الحجم، استغلال الحساسيات البينية يتطلب معلومات دقيقة، وهو ما توفره علوم كالاستشراق والأنثروبولوجيا اللذين كان من دوافع انشائهما دراسة الشعوب للسيطرة عليها، مع العلم أن الباحث الغربي لطالما أعماه غروره، وتسببت نظرته الاستعلائية بنوع من التعميم والأحكام المسبقة، التي تسببت في كثير من الأحيان من الحط من قدر الشعب المستهدف بحيث لا يؤدي العلم هذا دوره وبناء عليه يتم اتخاذ سياسات معينة بحقّه تؤيّي نتيجة معاكسة، وهنا اليوم نجد أن المنظمات الإنسانية والبعثات الدراسية والجامعات الغربية، عندما تهتم بجمع المعلومات عن مجتمع ما، يفهمها أن تكون علاقات مع المحليين وأن يكون هناك باحثون محليّون في فريق البحث ليعطي نظرة أعمق وأدق تساعد على تحليل ومعرفة المجتمع المستهدف بأقل تحيزات معرفية ممكنة⁸.

⁸ هنا اشكالية التحيز المعرفي، وبفضل التدخل الاستعماري والهيمنة الثقافية ينتقل من الباحث الغربي الى المخبر المحلي، الذي في النهاية يتأثر في الثقافة الغربية وهيمنتها، ينتهي به الأمر باستبطان النظرة الفوقيّة الاستعلائية الغربية نحو مجتمعه، ويحترم الكثير من التعميمات والاحكام المسبقة، التي يحاول الغرب تجنبها بتوظيفه كعنصر وعين محلية.

اختلاق الحروب

إن اختلاق حرب قد يهدف لتحقيق غايات مختلفة، مثلًا الحرب الإيرانية العراقية، هدفت للقضاء على الثورة الإيرانية بالوكالة لصالح أمريكا والعدو الصهيوني أولاً ومن ثم ممالك الخليج، أما العراق بشكل موضوعي لم يكن بحاجة إلى تلك الحرب، ويمكن أن تختلق الحرب من أجل استنزاف بلد ما في حرب داخلية، ودّوامة عنف متفلت وحالة فوضى تسمح بنهب موارده دون محاسبة كما هي الحال مع الكونغو، ويمكن اختلاق حرب لتدمير مجموعة دول وتوريطها بتبعة طويلة المدى كما حصل في أميركا الجنوبية بعد الاستقلال 1810.

منذ البداية كانت بريطانيا تسعى للهيمنة الكاملة على الأسواق في جنوب القارة، هذه البلاد كانت مستعمرات تحكمها أوليغاركية مرتبطة بإسبانيا (وبالبرتغال في حالة البرازيل) وهي لم تكن معنية مع دول المركز بإنتاج صناعات محلية متقدمة، ولا حتى اقتصاد زراعي متكمّل، بل ارتكز الاقتصاد على زراعات الـ (Cash Crops) من بن كاكاو وقطن وسكر وغيرها من محاصيل استنزفت التربة وتسببت بمجاعات وتدمير مجتمعي متكرر من جهة أخرى، وارتكز أيضاً على التعدين بالإضافة إلى بعض الصناعات المحلية البسيطة التي كانت سمح لها بعض السياسات الحمائية بالظهور، وهكذا كانت القارة الجنوبية سوقاً مثالياً للبريطانيين، الذين انتعشوا مرافئهم ومصانعهم وبنوكهم بفضل هذا السوق بعد الاستقلال، وقد كان الوكلاء التجاريين البريطانيون يجوبون البلاد بطولها وعرضها ويصلون إلى أقصاها لعمل ثماذج للملابس التقليدية والأدوات المستخدمة بهدف استنساخها وتصنيعها وبيعها لأهل البلاد، وهكذا لم يفوّت البريطانيون أي فرصة استثمارية تذكر، تم إسقاط كل الحاجز الضريبي وفتح كل الأسواق في وجه البريطانيين الذين كانوا يمارسون أقصى سياسات الحماية لضائاتهم، إلى أن ضمنوا تفوقهم على المنافسين أصبحوا يدافعون عن الأسواق الحرة بالحديد والنار كما سنرى.

على المقلب الآخر وفي نفس الحقبة التاريخية كانت البراغواي استثناء في قارتها، فقيادة الرئيس غاسبار رودريغيث دي فراشيا (1840-1841)، كانت الدولة الوحيدة التي تملك اكتفاءً ذاتياً بعيداً عن التجارة الاطلسيّة، وبها صناعات محلية، وبحسب عميل أمريكي فإن لم يوجد أطفال أميون في البراغواي وقتها، استعان رودريغيث بالجمahir الفلاحية لمحاربة الطبقة الأوليغاركية وحكم حكماً "ديكتاتورياً" باسمها، وحتى عام 1865 كان في البراغواي علاوة على الصناعات المتعددة، سكك حديد وخطوط تلغراف مسابك ومعامل صلب وأسلحة ومدافع وذخيرة، ومع تصدير بعض المنتجات الزراعية والأخشاب كانت الميزان التجاري يحقق الفوائض والعملة الوطنية قوية ومستقرة، وكان لديها أفضل جيش في القارة وكانت الدولة توظف الفنانين البريطانيين لخدمتها، بدل أن تضع نفسها في خدمتهم، وابتعدت الطلاب لأوروبا للتعلم لأجل بناء الدولة.

تم تأميم الأراضي واحتكار ملكيتها للدولة، وإعطاء المزارعين الأرضي للزراعة بدلاً من الملكية، وتمت استعادة التقاليد الزراعية القديمة، بالإضافة إلى إقامة المزارع الوطنية الضخمة التي كانت تديرها الدولة، وتم بناء شبكات ري وسدود وقنوات ومواصلات وجسور، اعتمدت سياسات حمائية متشددّة وأغلقت الممرات الهايمية بوجه التجارة الدولة. أما الفائز الذي أنتجته هذه السياسات لم يتم تبديده في التبذير والاستهلاك، ولم تفترض الدولة ليتم نهباً بالفوائد وبهذا فإن هذا الفائز لم يجيء إلى جيوب المستعمرون الأوروبيين، فكان لا بد من تدمير هذا النموذج الاستثنائي في محيط استباح البريطانيين كل صناعاته وزراعاته وفوائضه وقمعت الثورات وارتکبت المجازر للحفاظ على البريطانيين كأصدقاء ساعدوا في الاستقلال من الاستعمار القديم، لأن هذا النموذج كان فضيحة للآخرين، وفضيحة أكبر للبريطانيين، وعليه شنت حرب التحالف الثلاثي المكون من الأرجنتين والبرازيل والأوروغواي.

الرابح النهائي وال حقيقي لهذه الحرب كان، التجار والبنوك البريطانيين، الذين مولوا التحالف (بنوك لندن والأخوة بارينج وروتشيلد)، عن طريق الديون التي رهنت اقتصادات الدول الثلاث ولا تزال ترهق الأرجنتين، أما المخطط الحقيقي للحرب هو الوزير البريطاني إدوارد ثورنتون الذي كان يجلس بجانب الرئيس الأرجنتيني داخل جلسات مجلس الوزراء وهو الذي حاك هاك التحالف وأدار اللعبة، تم تشويه صورة الرئيس البراغواي وتشبيهه بأتيلاء،

واعتباره بأنه انتهك كافة أعراف الدول المتحضرة، شنت علي البراغواي ورئيسها حملة تشويه وإسقاط شبيهة والتي شنت على سوريا، فتحولت بلحظة دولة مكتفية ذاتياً، البلد يحكمها طاغية العصر وسفاح القارة وأصبح من الواجب الاخلاقي سحقه "الرئيس لوبيث"⁹ كما تسحق الزواحف.

دامت الحرب خمس سنوات، وقاتل فيها الشعب والجيش، وكانت المجازر مرؤعة إلى درجة أنه لم يبق في البراغواي إلا أقل من سدس سكانها بعد الحرب، وسرقت مساحات شاسعة من أراضيها لمصلحة الأرجنتين والبرازيل، كما فتحت أسواقها وفرضت عليه القروض البريطانية التي لم تكن يصل نصف قيمتها للبلد، والتي تضاعف حجمها بفضل إعادة التمويل أربع مرات خلال سنوات قليلة (غاليانو ا.، 2016)، وهكذا فقد ربط مصر أربعة بلدان للخارج عن طريق حرب عبئية بين الأخوة، خرج فيها المنتصر خاسراً ومديناً أكثر، والخاسر مهشماً لمصلحة ثلاثة من التجار والبنوك البريطانية.

⁹ الرئيس فرانسيسكو سولانو لوبيث، وهو الرئيس البراغواياني الذي تلا رودريغيث وقد المقاومة في وجه التحالف الثلاثي

BE SURE TO ASK FOR THE SUPPLEMENT.

ALFRED
HENRY
LEWIS,
Editor.

THE VERDICT

VERDICT
PUBLISHING
COMPANY,
BY
O. H. P.
BELMONT,
President.

VOL. II. NO. 10.

NEW YORK, (FOR WEEK ENDING) AUGUST 21, 1899.

PRICE, 10 CENTS—20 PAGES



THE WAY WE GET THE WAR NEWS.
THE MANILLA CORRESPONDENT AND THE MCKINLEY CENSORSHIP.

٢. نكث غزل الاقتصاد

إن تدمير اقتصاد مجتمع، عملية بسيطة ومعقدة في ذات الوقت، فالاقتصاد لدولة ما هو نسيج من العلاقات والمصالح والآليات الداخلية والخارجية التي توظف الموارد البشرية والمادية والقدرات والخبرات لخدمة فئات معينة، وعند استهداف اقتصاد ما، فإنك تستهدف هذا النسيج، وبقدر تعقيد علاقات هذا النسيج وتنوعها يكون متنبأً يصعب تدميره، أما الاقتصادات أحادية الاعتمادية، والتي ترمي بثقلها على ركن أو قطاع واحد، وخصوصاً إن كان ريعياً يعتمد على السوق الخارجي، أو خدمياً أو سياحياً يعتمد على الاستقرار والعلاقات السياسية المداهنة، فيكتفي قطع خيط واحد من خيوط هذا النسيج ليتinal غزله بشكل كامل، ولهذا فإن الاستعمار وفي مقدمته الولايات المتحدة الأمريكية، يسعى إلى إعادة نسج الدول التابعة ليصبح أحادي الاعتمادي لربطه بها بشكل مباشر ولن يكون هشاً يسهل كسره، وليشكل رباط خانق على القرار السياسي لهذه الدول، وفي حالات معينة حين تحتاج الولايات المتحدة دولة قوية اقتصادياً كنموذج رأسمالي قوي يواجه الشيوعية تدعيمه لكن ليس للحد الذي يمكن أن ينافس مصالحها الاقتصادية، مثل اليابان فهي تساعده هذا النموذج إلى أن يصبح منافساً لها، ولكن عندما تفوق عليها صناعياً خصوصاً في مجال صناعة الالكترونيات، فقد أجرت أميركا اليابان في الثمانينيات على أن ترفع قيمة عملتها الوطنية، لتصبح المنتجات الالكترونية اليابانية أعلى من منافساتها الأمريكية وتخرج من أسواقها، من الصعب شرح كل تبعات هذه الخطوة على الاقتصاد الياباني ولكن يكفي أن نقول أن التبعات هي سبب التضخم وأزمة التقاعد وارتفاع أسعار العقارات وتراجع الصناعات إلى اليوم، نموذج آخر سأقوم بذكره فقط، إلا أنه يستحق الدراسة والتعمق ألا وهو بورتو ريكو والتبعية الاقتصادية المتطرفة فرضتها الولايات المتحدة على الجزيرة.

من الإنتاج إلى المضاربة

يتذكر التدخل الاستعماري تدمير الإنتاج الصناعي للبلاد، لفتح أسواقها لمنتجاته من جهة ولكي يقوّض قدرتها على النهوض والمنافسة والاستقلال من جهة أخرى، وبين مثال البراغواي وعدوان التحالف الثلاثي ومثال الهند في الملحق الكبير من الأمور المشتركة، وهما مجرد مثالين في بحر من نفس النمط المستمر إلى هذا اليوم، الفارق اليوم أن الغرب ومن بينه أميركا هو نفسه خسر الكثير من صناعاته لصالح الصين ونزح باقتصاداته نحو الاقتصاد المالي وأرباح المضاربة في قطاعات مثل العقارات والبورصة وغيرها، وهذا جاء كنتيجة غير مباشرة لتحول الدولار إلى عملة غير مدرومة بالذهب وتبعية الاقتصاد العالمي للدولار، فهذا خلق قدرة غير مسبوقة لأميركا على طباعة الدولارات بدون حساب وأدى إلى تضخم الأسواق المالية، كما أدى إلى تضخم الصناعات العسكرية في أميركا، كقطاع إنتاجي يبحث عن سوق، وليس كقطاع مرتبط بالسياسات الدفاعية للولايات المتحدة، وهذا الانقلاب يجعل من أميركا قرصان عالمي بحسب الباحث الاقتصادي الأميركي مايكل هدسون.

فتح الأسواق والتجارة الحرة

تعد حرب الأفيون أحد أهم الأمثلة التاريخية لنفاق فلسفة فتح الأسواق والتجارة الحرة، فبريطانيا لم تجد أي سلعة مرغوبة من إنتاجاتها في الصين ولذلك لجأت إلى زراعة الأفيون، الذي يخلق الطلب عليه بسبب وباء الادمان، وبريطانيا بدورها كانت تمارس سياسات حمائية تجاه منتجاتها المعرضة للمنافسة من الخارج كلما اقتضى الأمر، خصوصاً صناعات النسيج، وهنا أيضاً في ملحق الهند مثال جيد على تدخل الدولة الاستعمارية في السوق لتدمير

الصناعات المنافسة كلما ناسب الأمر الصناعيين البريطانيين. ووقع كلينتون اتفاق التجارة الحرة لشمال أمريكا (نافتا) لكي يؤمن اليد العاملة الرخيصة عبر الحدود وقد تم الاتفاق بحماس مشترك من قبل الجمهوريين والديمقراطيين، ولكن التجارة لم تكن حرة في وجه محاصيل البندورة التي حاولت المكسيك تصديرها إلى أمريكا، وعندما سئلت مادلين أولبرايت عن النصف مليون طفل الذي ماتوا في العراق بسبب الحصار الخانق والذي انتهك قوانين التجارة الحرة قبل المواثيق الدولية، ومنع الغذاء والدواء عنه، أجابت أنه نعم، كان الأمر يستحق ذلك (Zenn, 1980)، لذا فالأسواق مفتوحة والتجارة حرة باتجاه واحد، بالاتجاه الذي يصرف المنتجات الأمريكية والغربية ويحقق مصالحها، وغير ذلك فلا حرية تجارة ولا حرية أسواق.

ديون الأفراد واقتصاد الدولة

يعد مايكل هدسون من الباحثين الاقتصاديين المميزين عن الخط العام في الاقتصاد الأمريكي، فهو ينتقد التدريس الأكاديمي للاقتصاد لأنه يعتبر أن نظريات الاقتصاد الرأسمالية التي تدرس في الجامعات الأمريكية أقرب للأدب منها للعلم، ويقول أيضاً بأن هناك تركيزاً على تدريس النظرية واهماً لتدريس التاريخ في مجال الاقتصاد وذلك مقصود، لأن دراسة تاريخ الاقتصاد سيدلل على بطلان النظريات الاقتصادية التي تعتمد كحقائق لا تقبل الشك أو الدحض، ولدى المؤلف العديد من الكتب المعنية بالدين والسياسة وسياسة الدين وتأثير الدين ودورها في الهيمنة الدولية، أحده كتبه عبارة عن بحث تاريخي اركيولوجي وانثروبولوجي يبدأ كعمل لدراسة الاقتصاد منذ العهد السومري، وهو تحت عنوان "اغفروا لهم دينهم" (Hudson, ... and forgive them their debts: Lending, Foreclosure 2018) and ويركز بشكل خاص على مسألة التشريعات القديمة التي كانت مصممة للحيولة دون التراكم المالي لطبقة دون أخرى عن طريق الدين، وكيف أن الاديان يفترض بها أن تكون ورثت هذه التشريعات، وهنا سأركز على الديون الفردية واثرها في سياسة الدولة والاقتصاد بشكل عام، فهو يستعرض كيف ان السومريين اتبعوا سياسات مدروسة مبنية على حسابات دقيقة توضح أن النمو الطبيعي سيكون دائماً أبطأ من نمو الدين، ولذلك فيجب على المجتمع الغاء الديون الفردية بشكل دوري، والا فإن تراكم الثروة بيد قلة سيشل عجلة الاقتصاد ويرهن غالبية الشعب للعبودية ويفتح باباً للعنف الاجتماعي، وفي معرض الحديث عن هذا الكتاب يقول أن المعجزة الاقتصادية الالمانية ما كانت لتحقق لو لا أن الحلفاء قاموا بمحوا الديون عن كاهل الأفراد والشركات، وبما أنها كانت تعود للريح وبالتألي فان شطبها كان سهلاً، وبهذا تحرر ملايين الالمان من عبء الدين واستطاعوا العمل والنهوض بالاقتصاد، ومن خلال قراءة كرونولوجية عبر العالم القديم يعدد الباحث أهمية الغاء الديون الفردية في الاقتصادات القديمة لأنه في النهاية يخلق طبقة ربوية فاحشة الثراء ولكنها غير منتجة ويفصل كيف أن الحضارة الرومانية بالذات تميزت عن بقية الحضارات السابقة لها بترك هذا الممارسة من الشطب الدوري لهذه الديون، ويرى أن ذلك كان أحد أسباب سقوطها، وأن استمرار العمل بهذا التقليد في الشرق سمح للقسطنطينية بالاستمرار لخمسين عام بعد سقوط روما، ويضيف أن هذه الطبقة من الاثرياء اليوم لضمان أرباحها، تعمل على رفع كلف الخدمات التي تهيمن عليها، وهذا بدوره يرفع كلفة المعيشة من ايجار وصحة وتعليم، وكل هذا يؤدي بمواطني إلى المزيد والمزيد من الدين، وكل هذه العوامل مجتمعة تؤدي إلى اعاقة خلق مجتمع صناعي فيه يد عاملة متoscطة الدخل، متعلمة تعيش في مستوى معيشي جيد أو مقبول وتستطيع انتاج بضائع بسعر معقول للسوق المحلي والخارجي، هذه الأزمة هي أزمة

غربية في أميركا وأوروبا واليابان، ولكن أيضاً المنظمات الدولية التابعة لها تحرص أن يتورط أكبر عدد من الدول في هذا المأزق.

الدولة المدينة

يمكن اعتبار الدين العابر للدول ظاهرة تعود إلى عصر النهضة، وحيث أن الظاهرة نتجت عن عمليات اقراض كبيرة للملوك والحكام لتمويل حروبهم المكلفة، كان يحصل أن يتم إعلان حرب بتحريض من المقرضين لانعاش أعمالهم وتحقيق مصالحهم، ولكن الفرق اليوم أن القروض العابرة للدول تتم بين دول أو مؤسسات دولية تهمين عليها الدول الغربية ودول أطراف ترث تحالف الهيمنة السياسية والعسكرية والاقتصادية الغربية في كثير من الأحيان، وبين هاتين المرحلتين يمكن ارجاع ظاهرة الاقراض بين الدول إلى القرن التاسع عشر، ويلاحظ الباحث باري ايختينغرین (Eichengreen, 1991) ان الاقراض الدولي في ذلك الوقت تركز في دول أمريكا اللاتينية بالذات وأنها كانت تواجه دورات متتالية من تسارع وتباطؤ النمو وأن هذا الدورات تلزمت مع موجات الانفلاس كل عقد أو عقدين، وأنه بالرغم من هذه التقلبات حافظت لندن أولاً ومن بعدها باريس وبرلين على على حيويتها في كأسواع للبورصة والمضاربة، ومن خلال هذه التقلبات الحادة بدأت تبرز سوق نيويورك للبورصة في الصدارة العالمية، كما أن الولايات المتحدة الأمريكية تحولت من دولة مقترضة إلى دولة مقرضة، ومع بداية عام 1890 بدأت الأصول الأمريكية في الخارج تزيد عن التزاماتها الخارجية، وهذا بدأ تتصعد على المسرح العالمي وتتنافس لندن كمركز مالي عالمي، واستمرت أمريكا بالاستفادة من التقلبات في الأسواق المالية لتركيز الثروة والسيطرة على المقدرات في الدول المدينة.

أما كيف صعدت لندن كمركز الأول عالمياً لتجارة البورصة والأسهم فكتب وزير خارجية فرنسا في عهد لويس الثاني عشر تقريراً حول استقلال دول أمريكا الجنوبية من الاستعمار الإسباني، "لقد تحولت المستعمرات الإسبانية في ساعة التحرر إلى شيء شبيه بمستعمرات بريطانية" وأضاف أنه تم منح هذه الدول عشرة قروض قيمتها الاسمية 21 مليون جنيه استرليني، إلا أن الذي وصل هو ثلث هذه القيمة، وتم إنشاء أربعين شركة مساهمة في لندن لاستغلال الموارد الطبيعية والزراعة والبنية التحتية، وتم إنشاء 48 بنكاً في عام واحد، كان بنك أوف إنجلترا يمول خزانات الحكومات وكانت تجارة السندات العامة اللاتينية مزدهرة في السوق المالية البريطانية، وانفقت هذه الدول بسخاء على جيوشها في الوقت الذي كانت ميزانياتها تواجه العجر، وانفجرت حمى الاستيراد واستهلاك الكماليات، وكانت الديون تتراكم لتمويل الترف المستورد، وفي عام 1824 وقعت تلقت الأرجنتين أقل من 60% من القيمة الاسمية لقرض بقيمة مليون جنيه استرليني من بنك بارنغ برادرز، ولكن حتى هذه الستين بالمائة التي كان يجب أن تستلمها كعملات ذهبية بموجب العقد، استلمتها على شكل حوالات طلبات مرسلة لرجال أعمال بريطانيين في بوينس آيريس، وهم كانوا مهتمون تحويل المعادن النفيسة إلى لندن، وبهذا دفعت الأرجنتين "ذهبياً مقابل الورق"، وهذا الدين تضخم بعمليات إعادة التمويل إلى حد إل 4 مليون جنيه وطالت مدة هذه الورطة إلى ثلاثة أرباع القرن واضطرت بوينس آيريس إلى رهن كل إيراداتها وممتلكاتها واراضيها ضماناً للسداد، واستخدمت بريطانيا هذا الدين لابتزاز الأرجنتين واجبارها على قبول شروطها في التجارة الخارجية (غاليانو ا، 2016).



أمريكا بدورها بدت باستخدام الديون كأداة هيمنة بعد العام 1803 من قبل الرئيس جيفرسون¹⁰، الذي شجع على اقراض السكان الأصليين ليقوموا بشراء اراضي بمساحات صغيرة، وطلب من الكونغرس ان يتم تشجيعهم على الاقتراض والدين من المستعمرين، ليتم توريتهم وتجریدهم من قطع الاراضي الصغيرة تلك أيضاً، وكما مذكور اعلاه فان اميركا تدرجت كقوة مالية بشكل تصاعدي الا أن القفزة الكبرى كانت بعد الحرب العالمية الثانية، فان كانت بريطانيا ورثت تركة الاستعمار الاسباني بعدم الثورات، واميركا فعلت نفس الشيء لوراثة القسم الباقي، فان اميركا ورثت مستعمرات بريطانيا بفعل دعم جهود الحرب البريطانية خلال الحرب العالمية الثانية، ففي الوقت الذي شهدت في اميركا صراعاً مرة أخرى حول طبيعة هذه الدولة وحول وجوب انكفائتها على الداخل أم سعيها للتوسيع والتدخل في الصراعات الخارجية، فإن الرئيس الامريكي استغل هذا الصراع، للضغط على البريطانيين والتفاوض معهم حول ثمن هذا التدخل، ونتج عن عقود "الاعارة-الايجار" (Super Imperialism, Hudson) (2003) التي أمنت الدعم اللوجستي الذي ابقى بريطانيا على قيد الحياة خلال الحرب، وقبل تدخل اميركا العسكري، فالنتيجية النهائية له وللتدخل الامريكي كان تنازل بريطانيا عن احتكارها التجاري لمستعمراتها، الامر الذي اصرت عليه اميركا كثمن لهذا

¹⁰ كان جيفرسون يريد التوسيع غرب الميسيسيبي، فمنذ هزيمة نابليون وعجزه عن استعادة هايتي اضطر لبيع لويسيانا للأمريكيين الأمر الذي فتح جبهة الغرب الأمريكية على مصراعيها، ولأن السكان الأصليين الذين كان يستهدفهم هنا كانوا من الصيادين، فان موطنهم ومجالهم الحيوي كان يشكل مساحات شاسعة من الاراضي، ولذا رأى ان تشجيعهم على امتلاك الارض والزراعة سيقلص المساحات المتاحة عليها والتي سيجب عليهم المحاربة لأجلها بشكل ضخم.

الدعم والتدخل، تحت عنوانين غاية في الإنسانية ومعاداة الاستعمار والهيمنة، ولكن في المفاوضات أميركا كانت واضحة فهي تريد الأسواق والثروات والهيمنة على البحار وهذا ما حصلت عليه مع نهاية الحرب.

يتحدث مايكل هدسون، "الامبرالية الفائقة" (Hudson, Super Imperialism, 2003)، عن شبكة علاقات تخلقها الهيمنة الأمريكية على الاقتصاد العالمي أركانها المؤسسات الدولية مثل البنك الدولي وصندوق النقد الدولي ومنظمة التجارة الحرة، ومؤسسات المساعدات والتنمية، ومرجعية الدولار في التجارة العالمية والهيمنة ضمن آليات التبادل التجاري العالمي، وحقيقة أن المجتمع الصناعي العسكري تحول من خادم للمصالح الاقتصادية الأمريكية، إلى محرك للاقتصاد يشكل مساره بحسب مصالحه، وبهذا تشن الحروب لأجل مصالح الولايات المتحدة الأمريكية الاقتصادية التي يقع في قلبها مصالح هذا المجتمع، وهكذا فإن أميركا تلعب دول القرصان الدولي على الاقتصاد العالمي.

يرد في الكتاب كيف أن أميركا تراجعت عن فكرة منظمة التجارة العالمية ITO في نهاية أربعينيات القرن الماضي لسبعين أساسين، الأول أنها لم تكن تريد الالتزام بقوانين التجارة الحرة بشكل فعلي، بل كانت تريد ضمان وجود منظمة تتبع لها فتح أسواق العالم وحماية مصالحها لا غير، ولذلك فإن وجود منظمة تفرض قوانين تجارة حرة صارمة على كل الأعضاء لم يكن من مصلحتها، خصوصاً أن لم تضمن هيمنتها الكاملة على القرار فيها فقد عبر الدبلوماسيون الأمريكيون عن قلقهم لعدم تمكّن أميركا على ضمان غالبية الأصوات واحتمالية أن تضطر أميركا إلى الالتزام بقرارات الدول الأخرى، فقانون 1945 لبنك الاستيراد والتصدير خالف مبادئ منظمة التجارة العالمية بشروط 3 وضعها للقروض التي يمكنه إصدارها، الأول أن القروض كانت مشروطة، بحيث تجبر المدينين على صرفها في الولايات المتحدة الأمريكية ولغايات محددة فقط، وذلك لم يكن منصوصاً في القانون ولكن مسؤولي البنك تصرفوا لخدمة وتسهيل التصدير من الولايات المتحدة، أما الشرط الثاني فهو منصوص عليه بقانون أقره الكونغرس، بوجوب شحن أي بضائع يتم شراؤها بقروض حكومية أمريكية باستخدام سفن أمريكية، إلا إذا لم تكن تلك السفن متوفّرة أو ممكّنة، أما الثالث فهو نتيجة تطبيق كامل نص القانون فإن الطلب سيزيد من الطلب على الدولار في وقت كانت الطلب على الدولار مرتفعاً أصلاً.

ومن ناحية أخرى أدى إعلان الحرب على كوريا إلى ضرورة التراجع عن هذه الفكرة، لما لها من قيود اقتصادية تعطل تنظيم الحكومة الأمريكية وتحشيد اقتصادها لخدمة الحرب وما يتطلبه ذلك من تحكم حكومي بالسلع الاستراتيجية وتحكم بالأسعار وغيرها من الإجراءات التي بدونها ستتم اعاقة قدرة أميركا العسكرية. وهكذا فإن الولايات المتحدة الأمريكية عطلت إنشاء منظمة التجارة العالمية، واستبدلتها باستخدام مكاتبها في جنيف، وباستخدام الطاقم الإداري لتلك المؤسسة التي كانت قيد الانشاء وبالاعتماد على مسودات قوانينها تم إنشاء منظمة تناسب حاجات أميركا وهي الـ GATT والفارق الأساسي هنا، هو أن هذه المنظمة عملت على رفع الرسوم الجمركية وعقد الاتفاقيات التجارية بشكل ثنائي بين الدول، بحيث تستطيع الولايات المتحدة الأمريكية ضبط العلاقات الاقتصادية والتجارية والمالية مع كل دولة على حدة بما يخدم مصالحها.

في المقابل لم تكن الولايات المتحدة ستقبل بوجود صندوق النقد الدولي والبنك الدولي لولا أنها ضمنت تحكمها في قراراتهما، فمنذ لحظة اطلاق فكرة إنشائهما انفردت الولايات المتحدة بتقرير موقعهما، الذي طالبت دول مثل فرنسا وبريطانيا والهند بوضعهما في نيويورك بالقرب من الأمم المتحدة، ولكن الرئيس الأمريكي أصر على أن وضعهما في نيويورك يعني أنهما سيكونان خاضعين لمصالح وال ستريت الخاصة، ولتفادي الواقع في هذا المأزق يجب أن يكونا في واشنطن وهذا ما جرى، أما كيف ضمنت أميركا فرض قرارها، في حالة صندوق النقد الدولي مثلاً، المسألة أن الأصوات حددت بحسب الحصة المالية لكل دولة، وذلك عبر سلسلة من التعديلات فاوشت عليها أميركا، فبالأصل كانت الحصة ستحدد بناء على احتياطي الذهب، والدخل القومي عام 1940 وحجم التجارة الخارجية بين الأعوام 1934-1938، بالإضافة إلى تقدير للثقل السياسي، ومع تحول معايير تقدير أصوات الدول بحسب مساهماتها النقدية وبما أن حصة أميركا كانت الأكبر ضمنت أنها تسيطر على قرار هذه المؤسسة ولم تضمن ذلك وكانت خربتها كما قامت بخراب منظمة التجار(2.75 بليون من أصل 7.3 بليون/ ضعف حصة بريطانيا ثاني أكبر عضو بعدها والتي حاولت التقارب مع حصة أميركا من خلال مساهمات الكومونويلث والمستعمرات وعلى رأسها الهند). وقد عرض مشروعها البنك الدولي والصندوق على الكونغرس الأمريكي على انهم سيعملان على توفير سيولة بقيمة 10 بليون دولار بهدف الاستيراد من أميركا.

كل هذه الشواهد هي دلائل على أن هذه المنظمات تهدف لخدمة مصالح أميركا منذ إنشاء فكرتها، أي قبل إنشائها الفعلي حتى، وتدلل هذه الشواهد أيضاً على كيفية تعامل أميركا مع حلفائها قبل الخصوم عندما يتعلق الأمر بالمصالح المالية لأميركا.

الدين البغيض

بالنظر إلى تاريخ الديون بين الدول، ومدى اجحافها ونهب المنهج الذي تقوم به، يبدو أن الدول المقروضة لا تقبل بأي مقاربة أخلاقية ووطنية فيما يخص القروض والسياسات المالية، وهذا صحيح لا عندما أصبحت هذه الدول هي المسئولة عن هذه الديون، فالنظر إلى تاريخ بريطانيا في الاقراض في الهند وأميركا اللاتينية، فهي من السباقين لرفض دفع الديون التي تراها مجحة، أو ما أصبح يسمى اصطلاحاً بالدين البغيض (Paulus, 2008) (Howse, 2007)، وذلك بعد انتصارها في حرب البوير رفضت دفع الديون المرتبطة على جنوب أفريقيا، وكذلك الأمر بالنسبة لأميركا عند احتلالها لكوبا وتكساس، فهي رأت أن الديون المرتبطة على حكومات ممتلكاتها الجديدة، غير قانونية لأنها تم صرفها من حكومات غير شرعية ولا تمثل مصلحة الشعب ولا تمثل قراره، هذه الدول هي نفسها التي شنت حروب تحت الاحتلال دول تحت حجة حماية حقوق مواطنيها المقرضين كما في حالتي والمكسيك¹¹ وهaiti (Tousaint, 2017)، مفهوم الدين البغيض تطور منذ ذلك الحين، وتوسيع ولكن خطوطه العريضة واضحة، إذا أعطى الدين بهدف إيقاع المستدين في دوامة من الاستدانة، أو إذا أعطى لجهة لا تمثل الشعب ولا مصالحه وإذا خصص لغايات لا تخدم مصالح هذا الشعب، فيمكن اعتباره ديناً بغيضاً ويمكن المطالبة والادعاء للحكومة المعنية بعدم وجوب دفعه، إن لم

¹¹ في حالة المكسيك تم اعطاء الجنسية البريطانية (أيضاً فرنسا واسبانيا فعلتا ذات الشيء) لمواطني مكسيكيين من المالكين الكبار لسنوات الدين العام المحلي، وبالاحتياط والضغط فرضت على المكسيك القبول بشرط معاملة سنادات هؤلاء على أنها ديون خارجية، مما أعطى الذريعة لشن الحرب على المكسيك واحتلالها عندما تعثرت في الدفع.

يُكَلِّفُ التَّعْوِيْضَ عَنِ الْخَسَائِرِ الَّتِي تَسْبِبُ بَهَا، وَلَكِنْ هَذَا لَا يَنْطَبِقُ عَلَى دُولِ الْعَالَمِ الْثَالِثِ الْيَوْمَ فَعِنْدَمَا تَحْدُثُ اخْصَائِيْ أَمْرِيْكِيْ فِي أَحَدِ مُؤَظَّمَاتِ الْأَمْمِ الْمُتَحَدَّةِ الْمُخْتَصَّةِ بِالْتَّنْمِيَّةِ (مَايِكِلُ هَدْسُونُ نَفْسُهُ) فِي مَؤَتمِرٍ هَذِهِ الْمُؤَظَّمَةِ UNTAR فِي الْمَكْسِيْكِ عَامِ 1980، وَأَوْضَعَ أَنْ دِيَوْنَ الْعَالَمِ الْثَالِثِ لَا يَمْكُنُ دُفْعَاهَا، لَا بَلْ يَجِبُ شَطَبُهَا، لَأَنَّهَا بِعُظُومِهَا صَرَفَتْ لِضَمَانِ تَبْعِيْتِهَا الْاِقْتَصَادِيَّةِ وَلَيْسَتْ مَعْنِيَّةً بِاعْدَادِ هِيَكْلَةِ الْاِقْتَصَادِيَّاتِ لَهَذِهِ الدُّولِ بِحِيثِ تَصْبِحُ قَادِرَةً عَلَى الدُّفُعِ (Hudson, *Killing the host*, 2015)، وَأَنْ اِجْرَاءَاتِ التَّقْشِفِ وَالْخَصْصَةِ وَتَشْدِيْبِ أَوْ تَذْوِيْبِ الْقَطَاعِ الْعَالَمِيِّ سُوفَ تَزِيدُ الْأَمْوَارُ سُوءًا، اِنْدَلَعَ الشَّغَبُ فِي الْمَؤَتمِرِ، خَصْوصًا مِنْ مَمْثِلِيِّ بَنُوكِ وَالْسَّتِيرِيَّتِ، وَبِالنَّسْبَةِ لِهَدْسُونِ الشَّغَبُ لَيْسَ لَأَنَّ هُؤُلَاءِ لَا يَعْلَمُونَ بِأَنَّ هَذِهِ الدُّولَ لَا يَمْكُنُهَا الدُّفُعُ وَسَتُضْطَرُ لِاعْلَانِ افْلَاسِهَا، بَلْ لَأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ ذَلِكَ جَيْدًا وَيَنْكِرُونَهُ لَأَنَّهُ يَخْدُمُ مَصَالِحَهُمْ فِي لَوْمِ الدُّولِ الْمُفْلِسَةِ عَلَى أَوْضَاعِهَا الْاِقْتَصَادِيَّةِ الْمُزَرِّيَّةِ بَعْدَ أَنْ تَمَّ اِسْتِنْرَافُهَا بِحَرْفِيَّةٍ.

وَفِي الْعَامِ 1987 حَاوَلَ تُومَاسُ سَانِكَارَا، رَئِيسُ بُورْكِينَا فَاسُو، قِيَادَةَ الدُّولِ الْاِفْرِيْقِيَّةِ وَتَشْكِيلَ جَبَهَةَ مُوحَّدةً لِلِّامْتَنَاعِ عَنِ دُفُعِ الْدِيَوْنِ الَّتِي تَخْنَقُ هَذِهِ الدُّولِ، وَقَالَ فِي مَؤَتمِرٍ مُنْظَمَّةِ اِتْحَادِ الدُّولِ الْاِفْرِيْقِيَّةِ أَنَّ اِصْلَ الدِّينِ يَعُودُ إِلَى الْاسْتِعْمَارِ، وَلَأَنَّ هَذِهِ الدُّولَ لَيْسَتْ مَسْؤُلَةً عَنِ هَذِهِ الْدِيَوْنِ، تَمَامًا كَمَا ادَّعَتْ أَمِيرِكَا وَبِرِيْطَانِيَا فِي كُلِّ مِنْ جَنُوبِ اِفْرِيْقِيَا وَتَكْسَاسِ وَكُوبَا، فَإِنَّ الدُّولِ الْاِفْرِيْقِيَّةِ يَجِبُ أَنْ لَا تَدْفَعْ هَذِهِ الْدِيَوْنَ، مَا قَالَهُ سَنِكَارَا كَانَ خَطِيرًا لِدَرْجَةِ أَنَّهُ تَسْبِبُ بِاغْتِيَالِهِ، مِنْ قَبْلِ رِجَالِ عَصَابَاتِ مُرْتَبِطِيِّنَ بِحِيتَانِ النَّفْطِ فِي لِيَبِيرِيَا¹² وَمُرْتَبِطِيِّنَ بِالْطَّبَعِ بِالْمَصَالِحِ الْغَرْبِيَّةِ، لَأَنَّهُ بِحَسْبِ تَعْبِيرِ أَحَدِهِمْ أَصْبَحَ يَنْحُوا نَحْوَ الْيَسَارِ (Pershad, 2020).

المَشَارِيعُ التَّنْمَوِيَّةُ وَالْبَنِيَّةُ التَّحْتَيَّةُ

فِي كِتَابِ الْحَقْدِ عَلَىِ الْغَرْبِ، يَفْسِرُ جَانِ زِيلْغُرُ لِلْأَوْرُوْبِيِّنَ كِمَسْؤُلِ أَمْمِيْ أُورُوْيِيِّ سَابِقِ مَاذَا تَحْقِدُ دُولُ الْاِطْرَافِ وَشَعُوبُهَا عَلَىِ الْغَرْبِ، وَيَقِرُّ بِأَنَّ الْمُؤَسِّسَاتِ الدُّولِيَّةِ لَهَا دُورٌ فَاعِلٌ فِي الْهِيَمَنَةِ، وَأَنَّهَا حِينَ تَمُولُ مَشَارِيعَ بَنِيَّةَ تَحْتَيَّةٍ، فَهِيَ تَمُولُهَا بِقَرْوَوْسٍ بِقَوْاَنِدِ غَيْرِ عَقْلَانِيَّةٍ وَعَلَوَّةٍ عَلَىِ ذَلِكَ إِنَّهَا عَادَةٌ تَكُونُ بَنِيَّةَ تَحْتَيَّةٍ لِلنَّهَبِ وَالسُّرْقَةِ وَالْهِيَمَنَةِ وَالْاسْتِعْمَارِ، فِي كِتَابِهِ يَوْضِعُ مَثَالَ نِيَجِيرِيَا، وَفِي الْمَقَالِ الْمُلْحَقِ هُنَاكَ مَثَالُ سَكَكِ الْحَدِيدِ فِي الْهَنْدِ فِي حَقْبَةِ الْاسْتِعْمَارِ الْبِرِيْطَانِيِّ، وَهُنَاكَ سُرِّيَ نَفْسِ النَّمَطِ فِي سَكَكِ الْحَدِيدِ فِي أَمِيرِكَا الْجَنُوبِيَّةِ وَحَالَةِ الْأَرْجَنْتِيْنِ تَحْدِيدًا، الَّتِي أَهْمَتْ بِرِيْطَانِيَا الْهِيَمَنَةَ عَلَيْهَا مِنْ خَلَالِ بَنَاءِ سَكَكِ الْحَدِيدِ وَتَصْمِيمِهَا الَّذِي يَشْبِهُ أَصَابِعَ الْكَفِ الْمَفْتوَحَةِ، يَدُلُّ عَلَىِ وَظِيفَتِهَا فَهِيَ تَرْبِطُ الْمَصَادِرَ بِالْمَلْوَانِيِّ، لِنَقْلِ الثَّرَوَاتِ إِلَىِ الْخَارِجِ وَالْوَارَدَاتِ إِلَىِ الْأَسْوَاقِ، وَلَمْ تَصْمِمْ بِأَيِّ نِيَّةٍ إِلَىِ رِبَطِ الْبَلَادِ وَالْمَنَاطِقِ الدَّاخِلِيَّةِ بِعُضُوهَا الْبَعْضِ، طَبَعَا بَعْثَاهُمْ هَذَا الْمَشْرُوعَ كَمَشْرُوعِ بَنِيَّةِ تَحْتَيَّةٍ تَقْدِيمِيِّ، بَيْنَمَا هُوَ دَمَرُ السُّوقِ الدَّاخِلِيِّ لِلْمَنْتَجَاتِ الْمَحْلِيَّةِ، خَصْوصًا إِنَّهُ تَرَافَقَ مَعِ سِيَاسَةِ جَمَرْكِيَّةِ لِصَالِحِ السَّلَعِ الْبِرِيْطَانِيِّةِ. وَمَعَهَا رِسُومُ نَقْلٍ مَرْتَفَعَةٌ جَدًا لِنَقْلِ أَيِّ مَنْتَجٍ مَصْنَعَةً مَحْلِيًّا، وَخَلَفَتْ سَكَكِ الْحَدِيدِ وَرَائِهَا دَمَارٌ يَبْيَئِي طَالَ الْأَشْجَارَ وَالْأَرَاضِيَ الزَّرَاعِيَّةَ وَالرَّعْوِيَّةَ وَاسْتَهْلَكَ الْأَخْشَابَ كَفْحَمَ لِيَوْقِدِ الْقَطَارَاتِ وَلِأَجْلِ هَذَا لَافْحَمِ اِسْتِعْبَدَ الْكَثِيرِيُّونَ، وَكُلُّ هَذَا مَزْقُ الْمَجَمِعَاتِ وَادِيَ إِلَىِ هَجْرَاتِ جَمَاعِيَّةٍ.

¹² ملاحظة جانبية، بُورْكِينَا فَاسُو تَعْنِي أَرْضَ الرِّجَالِ مَسْتَقِيمِيَّ الْقَامَةِ فِي الْلُّغَةِ الْأَصْلِيَّةِ لِلْبَلَادِ، وَلِيَبِيرِيَا تَعْنِي الْحَرْبَةَ وَهِيَ كَلْمَةُ لَاتِينِيَّةِ الْأَصْلِ، وَبَيْنَمَا اِعَادَتْ بُورْكِينَا تَسْمِيَّةَ نَفْسِهَا مَعِ بِرَنَامِجِ تَحْرُرِ وَطَنِيِّ، تَحرَرَتْ لِيَبِيرِيَا لِتَكُونَ أَرْضَ الْعَبِيدِ الْمَحْرُرِيِّينَ الَّذِينَ لَفَظُتْهُمْ أَمِيرِكَا وَاعْدَاتُهُمُ إِلَىِ قَارَبِهِمُ الْأَمْ لِلِّتَخلُصِ مِنْهُمْ وَلَكِي تَسْتَخدِمُهُمْ كَمَسْتَعْمِرِيِّيِّنَ يَقْوِمُونَ بِادَارَةِ مَصَالِحِهِمْ فِي هَذِهِ الدُّولَةِ الْأَفْرِيْقِيَّةِ، وَهِيَ الدُّولَةُ الَّتِي تَوَاجِهُ أَعْنَفَ الْمَرَاجِعَاتِ الْمَلِيلِيشِيَّاَوِيَّةِ الْدَّمُوِيَّةِ الَّتِي تَمْزِقُهَا وَتَزَعَّزُ أَمَنَ الْمَنَاطِقِ.

تكررت هذه القصة في عدة بلدان، الا أن سكك الحديد بطبيعة الحال يكتنها أن تكون نعمة ان تم تصميمها وتمويلها لأجل التنمية، ففي الباراغواي قبل حرب التحالف الثلاثي المذكر تحت عنوان اختلاق الحروب، كانت هناك سكك حديد، وصحيح انها انشئت بخبرات أجنبية الا أنها كانت تعمل لدى الدولة الباراغواية بدل أن يكون العكس، هذا ما ينطبق على مشاريع التنمية والبني التحتية في كل العالم اليوم، فالدول التي لا تمتلك سيادة وتستدين لانشاء مشاريع يتم خطها في الخارج، عادة ما تغرق في الديون لانشاؤ هذه المشاريع التي غالباً ما تكون مصممة لاستنزاف البلاد والسيطرة عليها وعلى مواردها.



العقوبات والقانون الدولي

العقوبات موضوع واسع ومتشعب، له أوجه سياسية واقتصادية ودبلوماسية، الهدف منه محاصرة العدو بشكل سالب (passive) وتجفيف منابع قدرته على الصمود وشن قدرته على التحرك والمناورة، وفي كثير من الأحيان فالغاية الأبعد من هذه الأهداف هي تأليب الحاضنة الشعبية على هذا النظام أو ذاك اما لتغييره من الداخل أو لاضعاف المقاومة الشعبية التي قد تنشب اثر احتلال معين (أمريكي كما العادة).

بالنسبة للباحث د.نيكولاس مودلر فإن ظاهرة العقوبات هي ظاهرة حديثة مرتبطة بالقانون الدولي وعصبة الأمم التي أنسأت عقب الحرب العالمية الأولى، ويعتبر ويدرو ويلسون مؤسس للخطاب الأخلاقي للعقوبات¹³ كبديل عن الحرب، ولكن الادعاء بانها اكثراً انسانية، صحيح للطرف المعتمدي فخسائره البشرية والمادية تكون معدومة ولكنها

¹³ مينيابوليس، 1919، تحدث الرئيس ويلسون وقال: "إن الأمة المقاطعة، هي أمة في طريقها للإسلام. طبق هذا الدواء الاقتصادي الإسلامي الصامت والمميت ولن يكون هناك حاجة لاستخدام القوة، انه علاج فظيع. ولا يكلف حياة الأمة التي تم مقاطعتها ولكنه يأتي بالضغط على الأمة، التي برأيي، لا يمكن لأمة عصرية أن تقاومها"

لا تقل توحشاً وهمجية عن الحرب العسكرية بالنسبة للضحايا، يعتبر الحصار على كوبا من أطول الحصارات المسجلة في التاريخ الحديث وكما نعلم فإن المجتمع الدولي كله بغربه وشرقه ضدّها ولم يبقى غير الولايات المتحدة والعدو الصهيونيين هما الوحدين المُصرّين عليها، بينما يعدّ الحصار على العراق وسلة العقوبات التي فرضت عليه هي الأشمل في التاريخ، وفي كوريا الشمالية وفنزويلا تستخدّم العقوبات كدلالة على أن هذه الانظمة تتلذذ في تجويع شعوبها، ولا يتلفت الاعلام ولا الرأي العام أن من يقوم بعملية التجويع هم الذين يضربون الحصار الظالم والوحشي من الكتلة الغربية التي تنصب نفسها متحدةً باسم المجتمع الدولي، يمكن اعتبار الحصار الذي كان يضرب حول المدن قديماً أيام الحرب نوعاً من أنواع العقوبات، يسجل التاريخ حصارات طويلة ومروعة مات فيها السكان من الجوع، أو اضطروا إلى أكل بعضهم للنجاة من الجوع وحالات صمود أسطوري لشعوب قاومت الحصار للرمق الأخير كي لا تسلم أو تستسلم، هذه الحصارات القديمة على وحشيتها أكثر أخلاقية من حصارات وعقوبات اليوم، فالحصار قديماً كان يتطلب من المعتدي الكثير من الجهد والتحشيد والمالي والتنظيم، كان حرباً مكلفة على عكس عقوبات وحصارات اليوم التي تكفي فيها كلمة وقرار مكتوب من دولة أو دولتين مارقين لتدمير اقتصاد دولة وشعب ومصادرة اموالها وتجويع شعبها ولومها على كل ذلك، بالفعل كما يردد الكثير من الناشطين والحقوقيين اليوم فالعقوبات هي جريمة.

في مقابل د.مولر هناك من يعتقدون (Gary , Jeffrey , Kimberly Ann , & Barbara , 2007) أن منظومة العقوبات هي أقدم من ذلك بكثير، ويرجعونها لمنع استيراد المنتجات الماجرية، الأمر الذي أدى إلى الحروب البينولوبية أو ما يسمى بالحروب الأهلية اليونانية، هنا كما في حوادث تاريخية كثيرة أخرى نرى أن العقوبات لا تحمل أي فضيلة أخلاقية، أنها هي نفسها قد تقود إلى حروب كارثية، في التقرير تم رصد 12 حالة تاريخية (قبل الحرب العالمية الأولى) لاستخدام العقوبات كبديل للحرب أو كأدلة عدوانية خلال الحرب، الملفت أنها كلها كانت من دول غربية فيما عدا حالة واحدة لروسيا، نمط آخر هو العقوبات التي كانت نتيجة الهزيمة العسكرية أو غير العسكرية، ولكنها كانت تتم بعد اخضاع الخصم وعادة ما كانت تهدف لتأديبه من جهة، ومن جهة أخرى وهي الأهم لضمان عدم قدرته على النهوض وأن يشكل خطراً أو نداً من جديد، أما عقوبات اليوم فهي تتم في العادة لإخضاع الخصم قبل أن يهز أو أن يواجه عسكرياً.

هنا مثال قرطاج جيد جداً، فرضت روما العقوبات على قرطاج بعد الهزيمة العسكرية، ليس من باب التأديب فقط بل لخوفهم من قوتها الاقتصادية والتي تشكل تهديداً لروما، هذه العقوبات كانت عسكرية واقتصادية في ذات الوقت، وبينما اختارت نخبة قرطاج الانصياع لها، اختار حملقار برصا الالتفاف عليها وعلى النخبة التي رفضت بناء قوة عسكرية وخرق العقوبات، وعليه أنشأ مدينة بارصا على ساحل ايبيريا الشرقي، والتي أصبحت تعرف اليوم ببرشلونة، وهكذا قام بناء جيش قوي واقتصاد يرفده دون أن يخرج نخبة التجار في قرطاج، ابنه هو حنبعل بارصا الذي نذر له محاربة الرومان، والذي سيقاتل روما على أرضها لأكثر من 15 عام دون هزيمة واحدة وسترفض نخبة قرطاج مساعدته، وستضطر روما إلى مهاجمة قرطاج لاجباره على الخروج من ايطاليا ليدافع عن مدینته الأم، وسيضطر أن يخسر الحرب لأجل المدينة التي خذلته، بعدها فرضت عقوبات أخرى على قرطاج أشد وأقسى وأكثر كلفة على المستوى الاقتصادي، وبالرغم من ان قرطاج تمكنت من سداد المستحقات الواجبة عليها بسرعة قياسية،

فقد استثمرت في الزراعة وتفوقت بها وعوضت العجز الذي فرضته عليها روما بمنعها من الاستمرار في سيادة تجارة المتوسط، ولكن هذا النجاح وهذه الطاعة لم تجلب إلا الولايات لقرطاج، من المعروف في التاريخ أن السيناتور كانوا لا يتم أي خطاب له في مجلس الشيوخ دون ذكر جملته الخالدة "قرطاج يجب أن تدمر / Carthago delenda est" بل في إحدى المرات كان قد خبأ حبتي تين¹⁴ في التوغا الخاصة به وتظاهر بانها وقعت على الأرض دونما أن ينتبه، وبتحريض مسرحي درامي صرخ في المجلس لا يجب أن نترك لهذا أن ينمو مقابل سواحلنا، في هذه الأثناء كان حنبعل قد استقر في قرطاج وحاول اصلاحها من الداخل، وكما قامت قرطاج بالتعلم قليلاً من دروس الماضي وعملت على بناء اسطول عسكري سري ولكن الوقت كان قد فات، والحقن الروماني هو الذي انتصر في النهاية حوصلت قرطاج ودمرت واشعلت فيها النيران لتسعة أيام بليلتها، قال الرومان أنهم يريدون حرقها حتى لا تنبت فيها بذرة بعد اليوم، وهكذا أصبحت تعرف معركة قرطاج الأخيرة هذه في التاريخ بانها الإبادة الأولى / The first genocide، أما حنبعل فاستمر في المقاومة بين ممالك المتوسط لبقية عمره مقدماً خدماته كأعظم قائد عسكري في التاريخ القديم والذي لا يزال فكره العسكري مرجعياً إلى اليوم.

وبالعودة إلى مسألة العقوبات، فقد يُحاكم كما اليوم الهدف منها هو القتل، سواء استعملت كبديل للحرب أو كأدلة فيها أو كإجراء تالي لها، لذا فالصيغة الأخلاقية التي يحاول الغرب اضافتها عليها كاذبة، وهي اليوم نتيجة ثانية لظاهرتين أساسيتين، القانون الدولي والمؤسسات الدولية، أما القانون الدولي من أن كان مجرد فكرة منحاز ضد الشعوب غير البيضاء والفقيرة، فجون ويستليك، استاذ جامعة كامبريدج ورائد القانون الدولي صرخ عام 1894 بأن القانون الدولي يهدف ويطالب الأمم المم المتحدة بالوصاية على بقية الشعوب التي يجب أن تسلم أرضاً وثرواتها وارادتها لمن يستطيع قيادتها ومعرفة مصلحتها أكثر منها وذلك أيضاً لأن هذه الاراضي والثروات ستكون مطمئنة للقوى العظمى المتحضرة، فبدلاً من شن الحروب لأجلها يجب تقسيم الوصاية قانونياً بين هذه القوى حقناً للدماء بواسطة القانون الدولي الذي بطبيعة الحال يخدم الاستعمار (Pershad, 2020).

¹⁴ كان الرومان يسمون الذين بالشمر الأفريقي، حيث كانوا يسمون منطقة تونس اليوم بأفريقيا، وكان الذين في ذلك الوقت من دلائل الثراء، برع القرطاجيون في الزراعة ويعتبر كتاب ماغو في الزراعة مرجعاً في تقنياتها في العالم القديم

. مساعدات ومؤسسات مجتمع مدني

"المساعدات، لذلك، بالنسبة الى دولة نيوكونونيالية، هو مجرد قرض دوّار، يدفعه السيد النيوكونونيالي، ويمر عبر دولة نيوكونونيالية ويعود للسيد النيوكونونيالي على شكل أرباح متزايدة" الرئيس المخلوع لغينيا كومي نكرومه (2020, Pershad)

أو بكلمات أخرى، فإن الاستعمار لا يعطي إلا ليأخذ وأكثر الأحيان يأخذ أضعاف ما يعطي، فسواء تعلق الأمر بالمساعدات المادية والعينية، التي تدير اقتصاد الأميركي وتشغل فيه شركاتها ومنظماتها وجمعياتها واستخباراتها، على حساب البلد الفقير، وعلى حساب دورة اقتصاده، أو ان تعلق بدعم منظمات المجتمع المدني وحقوق الإنسان، تحت عنوان الحروب البيئية والغذائية هناك مثال عن دورة اقتصاد مساعدات القمح التي تمنحه أميركا للدول الفقيرة، او بالاحرى تفرضه عليها، تكلمت في أقسام أخرى عن أدوار المنظمات غير الحكومية وخاصة الدولية منها وعن حالة هايتي تحديداً.

فبحسب كتاب فيجاي برشاد، طلقات واشنطن، نسبة المنظمات غير حكومية للشخص هي الأعلى في العالم، وفي الوقت الذي يطلب البنك الدولي تقليص عمل الحكومة بواجباتها تجاه المواطنين والمنصوص عليها بالدستور والقوانين، تأتي الجمعيات لتنتشر وتلعب دور المنقذ لتبدو الحكومات أكثر وأكثر تقصيراً بحق الناس، أحد الاشكاليات الكبرى لهذه المنظمات، أنها وعلى عكس الحكومات غير خاضعة للمسائلة من قبل الشعب، وإنها لا تهتم الا بامساحة الموجهة لها من قبل مؤسسيها من متمولين وحكومات غربية، وعلاوة على ذلك فهي تضع اهدافها وأولوياتها بعيداً عن حاجات الدولة التي تعمل بها وعن حاجة الفئة المستهدفة في ذلك البلد، اذ أن المتولين والمؤسسين لهذه المنظمات هم المسؤولون عن ذلك، وبذلك وفي حالة هايتي تحديداً (وينطبق الكلام على دول أخرى) تتصرف هذه المنظمات كمشرين ووآمرین استعماريين، يتم لوم هايتي دائمًا على فقرها، ويتم غض النظر عن أن فرنسا لا تزال تدين لها بـ 22 بليون دولار أمريكي، أو أن العنف والمخدرات والجريمة مصدرها التدخل الأمريكي المباشر والتكرر الانقلابات والحكام الديكتاتوريين الذين نصبتهم أمريكا، وأن أمريكا سرقت الذهب الهايتي بدعوى حفظه من عدم الاستقرار وفرضت أن تصبح العملة مرتبطة بالدولار، أو ان التحرير العنصري من قبل الاستعمار في الدومينican، أدى الى كوارث ومجازر في هايتي، فهي النموذج الذي يستمرون في قتلها، لأنها أول ثورة ناجحة لتحرير السود من العبودية، ولكن ليس العبودية لوحدها، بل لأنها أعطت الرجل والمرأة الأسودين الحرية والكرامة والاستقلال الكامل، هذه الجزيرة الصغيرة دعمت وساعدت في ثورات بقية أمريكا اللاتينية في ثوراتها للتحرر من الاستعمار الإسباني، ولكنها على عكس الاصدقاء البريطانيين والأمريكيين على وضع نفسها كمستعمر جديد، وهذا نموذج خطير آخر يتم اغتيال هايتي مراراً وتكراراً لأجله.

عندما سمحت أمريكا للدكتاتورية بالرحيل من هايتي عام 1986 من الشباك، كانت قد ادخلت مكانه صندوق النقد الدولي من الباب، وتم فرض التجارة الحرة، ولم يتم شطب الديون البغيضة التي سرقها الديكتاتور السابق المدعوم أميركيًا، وبينما سمحت أمريكا بالانتخابات فانها لم تسمح بفوز منتخب لا يمثل مصالحها، لذلك فانها قامت بالانقلاب على اريستيد المنتخب مرة، ومرة أخرى وبعد عودته وتسلمه الرئاسة لمدة 8 أشهر فقط سيطر راول سيدرا رجل

العصابات المدعوم من المخابرات الأمريكية ومؤسسة الجمهوريين الدوليين وهاجمت منظمته مؤيدي اريستيد، وقدت موجة مدمرة من العنف بشكل منهج اطاحت بالتنظيم المجتمعي السياسي الذي كان آخذا بالنمو، وبعدها وافق اريستيد على توقيع اتفاقية جزيرة غوفنر، وبناء عليها عاد رئيساً للبلاد عام 1994، ولكن الحاكم الفعلي للبلاد بحسب الاتفاقية كان المنظمات غير الحكومية الدولية، كل ذلك تم تخطيه وادارته من قبل ادارة كلينتون ووال ستريت، تفاقمت الامور عندما اضطرات هايتي الى طلب مساعدة صندوق النقد الدولي بسبب عجزها المالي عام 1998، وعندما لم تستطع تلبية مطالب الصندوق، قام الصندوق مع منظمات أخرى بتجميد تمويل الحكومة، في نفس الوقت استمرت سيولة المنظمات غير الحكومية في التدفق، أكثر من ذلك فان المنظمات المملوكة من ال USAID بدأت تتضخم ميزانياتها منذ 1998 بشكل متزايد، وأعلن مسؤول أمريكي لمجلس الشيوخ، بأن الولايات المتحدة الأمريكية ستبقى تسيطر ومتلك زمام الأمور في هايتي حتى بعد انسحابها العسكري وذلك عن طريق هذه المنظمات التي وصلت تعدادها للالاف بالإضافة للقطاع الخاص، وفي الوقت الذي وجهت أميركا الزراعة في هايتي للتصدير، وخفضت الحد الأدنى للأجور، قامت بتوزيع الأرز بشكل مجاني لتدمير زراعة الأرز الهaitian، دعمت أميركا التعليم الخاص ودمرت التعليم الحكومي وبرامج تعليم البالغين، وتم خفض الرسوم والتعرفات الجمركية لكي تفتح الباب للصادرات الأمريكية Hudson، Super Imperialism، Pershad، 2003 و 2020)، من أكبر المستفيدين كان مزارعوا الدجاج الأمريكيون الذين رموا منتجاتهم غير المرغوب فيها بينما خسرت مزارع الدجاج الهaitian، وفي هذا الوقت ازدهرت المصانع الأمريكية في الجزيرة، حيث استطاعت أن تؤمن يد عاملة بأقل من ربع دولار بالساعة تعيش دون ربع الحد الأدنى من خط الفقر، وحين تم رفعها قليلا تحت الخط العبي لتصل المداخيل إلى أقل من نصف الحد الأدنى من خط الفقر، اعترضت مصانع القماش الأمريكية للسفارة الأمريكية، وبضغط سريع تم سحب القرار، استمرت الانقلابات الأمريكية في هايتي، ومعها ومع المنظمات غير الحكومية اختفت الدولة الهaitian وبحسب تعبير فيجاي برشاد ان هايتي اليوم هي جمهورية NGOs.

تصدرت هايتي نشرات الاخبار قبل عقد، عندما قتل 160 الفاً في زلزال مدمر، لم يلم أحد منظمات المجتمع المدني على الحالة المزرية التي أوقعت البلاد بها، بل إن المأساة جلبت المزيد والمزيد من الجمعيات، وعادت الجزيرة وتصدرت نشرات الأخبار قبل عدة سنوات لفضائح الاستغلال الجنسي والاغتصاب للأطفال والنساء التي يقوم بها عمال هذه المنظمات الذين يتلقاون رواتب منتفخة لتدمير الدول المضيفة والادعاء بمساعدتهم بدون حسيب أو رقيب، تقول الباحثة الفلسطينية أميرة سلمي، بأن وجود منظمة من هؤلاء تدافع عن حق ما، هو مذلة للقلق، أو ناقوس خطر، فهذا يعني أن هذا الحق قد ذهب بلا عودة، وأنهم يعملون على ذلك، فإن انتهاء قضية ما واستحصال هذا الحق، فهو يعني بطالة هؤلاء وانسداد موارد رزقهم، لذا فهم المعنيون الأوائل في ضمان عدم حصولك على حقوقك، مثل آخر تتركز فيه تشيكيلة من الفضائح هو منظمة نحن / We الكندية التي تمثل مثالاً لفساد وانتهازية وتورط هذه الجمعيات في السياسة وعالم الأعمال والعنصرية والاستعمار في ذات الوقت.

٤. التهجير ومعسكرات الاعتقال والمحميات

التهجير هو عملية نقل مجتمع أو شعب ما تم اخضاعه من بيئته الجغرافية إلى بيئة أخرى، وذلك بهدف الاضطلاع أو/والافقار أو/و الابعاد عن خط التماس أو/و فصل البيئة الحاضنة عن المقاومة. وصحيح أنها لا تعد من الأساليب السلمية بالطلاق، ولكنها أيضاً ليست عسكرية بالكامل، في التاريخ المكتوب فإن أول من استخدم هذا الأسلوب هم الآشوريون وأشهر عملية تهجير قاموا بها هي السبي البابلي، ومن ثم سنجده يتكرر بشكل منهج في أميركا الشمالية في عمليات تهجير السكان الأصليين غرباً عدة مرات للاستيلاء على أرضهم ولتمزيق مجتمعهم وقتل أي فرصة لهم في استجمام قواهم للمقاومة من جديد، وأشهر عملية تهجير وأكثرها دموية هي ما عرف في مسيرة الدموع (العكش، حق التضحية بالآخر، أميركا والابادات الجماعية، 2002)، وكان الأميركيون يرون في التهجير عملية بديلة عن الإبادة المباشرة، وفيها يتم الاستيلاء على الأرض وتدمير البنية الاجتماعية والاقتصادية للسكان الأصليين فينشغلون بلقطة عيشهم والأهم أنهم في الأرض الغريبة والبعيدة لن يكونوا قادرين على شن هجمات على المستعمرات البيضاء وعلاوة على التهجير عمد الأميركيون على وضع السكان الأصليين في محميات مغلقة عليهم تمنعهم فيها من العمل أو التنمية وهي اليوم مناطق موبوءة يأكلها الفقر والجريمة كأنما تنتهي للعام الرابع في بؤسها، كذلك استخدمت الامبراطورية الإسبانية أسلوب التهجير ضد المقاومة الكوبية في القرن التاسع عشر (غاليانو ا، 2016) وكانت قد استوحته من النموذج الجنوبي أفريقي والذي ترافق مع معسكرات اعتقال للأهالي، والهدف من التهجير كان تجفيف البيئة الحاضنة للمقاومين في الارياف بشكل تام في حرب الغوار التي سوها ضد الاستعمار الإسباني.

٥. الحروب البيئية والغذائية

الحرب على البيئة هي ليست ضد الطبيعة وان استهدفتها، بل هي حرب على المجال الحيوي للشعب المستهدف، بهدف اخضاعه أو/تهجيره وسرقة ارضه وموارده أو اضعاف قدراته العسكرية والدفاعية، وذلك عن طريق خلق ظروف معيشية يستحيل بها البقاء، لذا فالتلود الحاد في مياه سكان المحميات في كندا وأميركا ليس خطأً فنياً ولا صدفة، فمنذ أجيال وامستعمرون يدمرون كل مقومات الحياة التي يعتمد عليها السكان الأصليون والتي لم يعرفوا غيرها، من تدمير المزروعات وقتل الطيور وابادة جواميس البافالو، الكثير من هذه الشعوب لديها ارتباط روحي مع الطبيعة كمفهوم متجلز في ثقافتها، ورؤيه طبيعتهم مدمرة بهذا الشكل كسرهم روحياً وثقافياً ولكنها أدى الى مجاعات كثيرة وانتشار أمراض وأوبئة وسهل عمليات تهجير وابادة أكثر.

ميزة هذا الأسلوب أنه في كثير من الأحيان صعب التتبع، وبعض الاعتداءات البيئية لا يمكن ردها أو اعادتها إلى الوراء، وبعضاها لا يمكن اكتشافها الا بعد فوات الأولان، كنت قد ذكرت في البداية أن ملك غوجيان الصيني استطاع التفوق على صن تزو بالدهاء والحيلة في اضعاف جيشه، احدى الجيل التي استخدمنها انه طلب مساعدة حبوب لزراعة محصول القمح، ووعد أن يؤمن البذار لخصمه (الذي يظنه حليفاً) في العام المقبل، قام ملك غوجيان بتتأمين البذار كما وعد وفي الوقت المناسب ولكنه كان قد أمر بسلقها وتجفيفها، وبهذا لم يعلم خصميه الا بعد عام، وغرق في ورطة المجاعة وورطة أن جيشه أصبح معانيا بالزراعة وتأمين الغذاء بدل القتال. هكذا أيضاً وزعت الولايات المتحدة قمحاً ملوثاً هذا العام للمزارعين السوريين، وقد حذرت وزارة الزراعة السورية المواطنين من استخدامه، انه سيضر بالمحاصيل وانتاجيتها لسنوات قادمة، وقتها سيكون قد فات الأوان لحل المشكلة.

” قال اغosto غوتشن: ”ان تاريخ حبة سكر هو درس كامل في الاقتصاد السياسي، والسياسة، وكذلك في الاخلاق“¹⁵
(غاليانو ، 2016)

ذكرت سابقاً أن الاستعمار مشروع ثقافي ومعرفي، ولكنه أيضاً فسيما عدا استثناءات قليلة مشروع زراعي ضخم، ولكنها زراعة من نوع آخر، زراعة تدمر كل شيء لأجل الربح، تعرف اليوم بمفهوم الزراعة الأحادية، وتعنى بمحاصيل ربحية تسمى بال Cash crops، قام الاستعمار الغربي منذ البداية بسرقة بذور وأشتال الشعوب الأخرى، ومصادرة أراضيهم واستعباد ملايين البشر لانتاج المحاصيل للربح، فمن القرفة في سيرلانكا الى الكاكاو في فنزويلا، سيرة دموية للزراعة، وفي الوقت الذي امتاز الاستيطان في أميركا الشمالية بأنه استيطان احلاي أكثر من غيره من حالات الاستعمار الاحلاي¹⁵، والاستعمار الاحلاي وحده سعى لزراعة متنوعة مستدامة الى جانب الزراعة الأحادية التي اينما زرعت كانت التربة تستنزف، وينشط سوق العبيد، وتحقق الارباح الطائلة ويجوع المزارعين، ومن بين محاصيل القطن والقهوة والكاكاو والنيلية والموز التبغ والذرة والصويا والمطاط والسكر كان الأخير أسوأها وأكثرها شقاءً، صحيح أن أيدي رعايا الملك البلجيكي ليوبولد قطعت في ”مزرعته“ الكونغو من لم يحصدوا حصتهم من المطاط، الا أن السكر الذي جلبه العرب من الهند، واكتشفه الأوروبيون خلال الحملات الصليبية وحملوا أشتاله الى العالم الجديد، كان أكثر الزراعات شقاءً وكان أكثرها ربحيةً هذا الذهب الأبيض الذي أدى الشره الأوروبي اليه الى تكوين ثروات ضخمة،

¹⁵ يمكن اعتبار كندا وجنوب افريقيا واستراليا المستعمرات الاحلالية الوحيدة الناجحة في العام

صاغت زراعته تاريخ الكاريبي وأميركا اللاتينية، وكانت هايتى أغنى مستعمرة في العالم ولكن ثرائها كله زرعه العبيد وحصدته فرنسا، كان السكر مربحاً لدرجة أنه من المجدى أن تشتري عبداً وتشحنه عبر المحيط من افريقيا إلى الانتيل كل أربع سنوات، ولا يهم ان مات لأنه خلال أربع سنوات سيكون أنتج لك ثروات مضاعفة على كلفة شرائه وشحنها، يقول غاليانو: "افكر في انه لم يكن صدفة تجنيد فيديل كاسترو ثلاثة ارباع مقاتليه من بين الفلاحين، عمال السكر، وان تكون مقاطعة اوريينتي، في آن واحد، اكبر منبع للسكر والانتفاضات في كل تاريخ كوبا. كما اني اتفهم الحقد المترافق: وقررت الثورة في 1961 بعد الحصاد الضخم، ان تنتقم من السكر. لقد كان السكر الذاكرة الحية للذلال".

(غاليانو ا.، 2016).

"غذاء الأقليات يتحول إلى جوع الأغلبيات"

هذه المشاريع الزراعية كانت حصرية لدرجة أنها وبالرغم من غناها إلا أنها كانت لطالما تصاب بمو劫ات من المجاعة، لأن كل ما يزرع لا يصلح للاستهلاك اليومي ويُزرع للتتصدير وكان يمنع على المزارعين زراعة أي شيء لنفسهم، الا نادراً اذا استأجروا أرضاً أخرى ودفعوا ثمن ساعات عملهم في لاطعام أنفسهم، الا انه في أغلب الحالات تصمم هذه المشاريع على أن يشتري المزارع الفقير أبسط أساسياته الغذائية بأسعار تفوق نظيرتها في المدن التي يدفعها الأغنياء، والأهم انهم يشترون هذه المواد المبالغ في أسعارها من مشغليهم الذين يستغلونهم أصلاً، طبعاً هذا كله في حال كانت مزارع لا يشغلها العبيد. ففي الولايات المتحدة الأمريكية مثلاً، وبعد اقرار قانون تحرير العبيد، اصرت الولايات الجنوبية على اعطاء المزارعين السود مستحقاتهم على شكل طلبات، لم يكفي أن دخلهم كان شحيحاً، بل كانت الطلبات لا يمكن استيفاؤها الا من مخزن السيد الأبيض الذي كان يضاعف الأسعار عليهم، ويضمن بذلك أن يعلق الرجل الأسود بدودامة مستمرة من الدين، تبقيه في حالة عبودية غير معترف بها رسمياً (Zenn, 1980) ، ولا تنتهي المأساة هنا فدورة اقتصاد هذه الزراعات هي أشد ظلماً على المزارعين والعمال، فهذه المنتجات الربحية تم بتقبلات مضاربة في السوق، فتبعد المنافسة وتزداد أسعار ومعها تتكشف الزراعة ويزداد شقاء المزارعين لانتاج أكبر محاصيل ممكنة لتكمليس أكبر قدر من الأرباح، وتؤدي هذه المنافسة إلى تخمة مفاجئة في السوق وفتحبط الأسعار فجأة وتتدمر وتغلق الكثير من المزارع ويترك المزارعون في مناطق نائية بدون بنية تحتية ولا موصلات وفي أراض بترية فقيرة ومستنزفة ومياه ملوثة، ويكون عليهم أن يعيدوا بناء حياتهم من جديد في مكان جديد أو البقاء وتحمل تبعات الفقر المزمن جيلاً بعد جيل (غاليانو ا.، 2016).

يتحدث غاليانو أيضاً عن آلية الاستغلال مضاعفة التي تخلقها الزراعات في اميركا اللاتينية وهو كان يتحدث في السبعينيات وفي مسألة البن يقول أنه يفيد المستهلكين أكثر من المزارعين، بمعنى أن حبة البن تستنزف الأرض والموارد البشرية والطبيعية في انتاجها، وثم تباع إلى أميركا بسعر زهيد بفضل الهيمنة على هذه الحكومة أو تلك، وينتج عن حبة البن هذه دورة اقتصاد أمريكية شمالية ضخمة، تبدأ من الشحن، إلى التحميص إلى التعليل إلى التسويق، إلى التوزيع وتتابع بأضعاف أضعاف من تكلفه للأمريكي، والأسوأ انه يتم بيعها في بلد المنشأ بأسعار عالية.

وهكذا فإن تراكم الربح الأمريكي من حبة البن هذه الذي يسمح له بالتسليح والتدخل العسكري والقمع وفرض الحكومات والانقلابات في دولة أو أخرى يحتاج ويعتمد إلى حبة البن هذه، أو شتلة القطن تلك التي يزرعها الفلاح

الفقير الذي يموج شقائه بعرق جبينه، خلقت زراعة الموز بالذات أكبر امبرطور أمريكي في ذلك الزمن الذي أنشأ من الموز وفواكه قليلة أخرى، اساطيل شحن ومرافق وسکاك حديد، وتحكم بدول لاتينية عديدة، فصاحب شركة الفواكه المتحدة، القاًد من شيكاغو مجرداً من أي ثروة عدا مسدسين اثنين أصبح الامر الناهي لدول جنوب اميركا، ويحضر المؤامرات ملـن يخرج عن طوعه، ففي غواتيمالا قامت الشركة بتحضير 32 مؤامرة ضدها لأن حكومتها طرحت تطوير الاقتصاد الرأسمالي الفلاحي والاقتصاد الرأساني في الزراعة بشكل عام"، فتم شن هجوم من قوات مدربة في الولايات المتحدة الأمريكية ومسلحة من أبناء البلاد وبقيادة جنرال غواتيمالي، وساند الغزو قصف جوي أمريكي بأمر من الرئيس ايزنهاور، هذه العملية شارك في تنفيذها فريق من السفراء الامريكيين في غواتيمالا والدول المحيطة بها، وهو عمل هنأهم عليه رئيس وكالة الاستخبارات المركزية في حينه، الذي كان هو نفسه عضواً في مجلس شركة الفواكه المتحدة، ولم يتوقف العنف في هذا البلد بعد أن نالت الشركة مرادها بل أن القتل والاغتيال استمر لسنوات بشكل يومي.

وفي أعماق الغابات في البرازيل، عانى السكان الأصليون من موجات المستعمرات، وبالرغم من وجود مرسوم ينص ويقر بسيادتهم على اراضيهم منذ عام 1537، بفضل ثروات هذه الأرض أصبحت غابات الأمازون خلفية مغامرة للبطل انديانا جونز، خارج شاشة السينما كما دخلها، وافتتحت جبهة غزو أمريكي جديدة في أعماق الأمازون، تم قتل الكثير من الهنود لتابع اراضيهم للأمريكيين بأثمان بخسة، بل وقد تم صيدهم من السماء بالطائرات المروحية والطائرات الصغيرة، وتم تعريضهم لفيروس الجدري، المعلوم تماماً انه فيروس قاتل لهم ولا يمتلكون المناعة ضده، كما القى الديناميـت على قراهم وتم اهدائهم السكر المدسوس فيه سم، وقد تم اتهام رجل أمريكا في البرازيل الجنـال برانـكوا بـارتـكـاب 42 نوعاً من المؤامـرات ضد أصحاب الأرض في الأمازـون (Pershad, 2020).

اليوم لا تزال الزراعة جزءاً أساسياً من آلية الاستعمار، فالقمح والأرز الأمريكيـين مصمـمان للهيـمنـة ويتـم ادخـالـهما إـلـى الـبلـدانـ المـفـقرـةـ معـ مـسـاعـدـاتـ الـUSAIDـ عـلـىـ حـسـابـ الـمـحـاصـيلـ الـمـحـلـيةـ الـأـكـثـرـ تـغـذـيـةـ وـالـأـكـثـرـ صـحـيـةـ وـالـأـهـمـ الـتـي تـدـعـمـ دـوـرـةـ اـقـتـصـادـ مـتـكـامـلـةـ دـاخـلـ الـبـلـدـ الـمـسـتـهـدـفـ، وـهـذـاـ يـخـدـمـ مـصـالـحـهاـ بشـكـلـ مـزـدـوجـ منـ جـهـةـ فـهـيـ توـسـعـ أـسـوـاقـ مـنـجـاتـهـاـ منـ الـحـبـوبـ وـالـتـيـ تـعـدـ بـالـنـسـبـةـ لـهـاـ سـلـعـ اـسـتـرـاتـيـجـيـةـ يـجـبـ الـهـيـمـنـةـ عـلـىـ أـسـوـاقـهـاـ وـالـغـاءـ مـنـافـسـيـهـاـ، وـمـنـ جـهـةـ أـخـرىـ فـهـيـ تـشـدـ الخـنـاقـ عـلـىـ الـبـلـدـ الـمـسـتـهـدـفـ بـتـدـمـيرـ سـيـادـتـهـ الـغـذـائـيـةـ (Hudson, 2003, Super Imperialism)، في نفس الوقت تقوم الشركات الأمريكية بسحب عينات من البذور المحلية وحفظها وتعديلها جينياً، حتى لو كان التعديل طفيفاً وتسجلها كملكية فكرية لحسابها، وتحاول هذه الشركات إعادة نشر هذه البذور التي تصمم لكي تكون بذار غازية واحلالية مكان البذور المحلية، وتعمل على بيعها في مواطنـهاـ الأـصـلـيـةـ كـمـلـكـيـةـ فـكـرـيـةـ يمكن زراعتها لدورة زراعية واحدة ولما يـمـكـنـ اـعـادـةـ بـذـرـهاـ، أـيـ اـنـهـ عـلـىـ الـفـلاحـ شـرـاؤـهاـ كـلـ موـسـمـ منـ الـأـمـرـيـكـيـ معـ أـسـمـدـتهاـ وـمـبـيـدـاتـهاـ الـخـاصـةـ مـنـ نـفـسـ الشـرـكـاتـ¹⁶ـ، وـتـحـاسـبـ مـنـ يـزـرعـهاـ أوـ تـصـلـ لـأـرـضـهـ بـالـخـطـأـ أوـ عـنـ طـرـيقـ الـهـوـاءـ وـتـقـاضـيـهـ لـسـرـقـتـهـ

¹⁶ عدد من هذه الشركات الأمريكية، مثل مونсанتو وداو، ساهمـاـ فيـ الـحـربـ الـأـمـرـيـكـيـةـ عـلـىـ فيـيـنـامـ، باـنـتـاجـ كـمـيـاتـ مـهـوـلـةـ مـنـ الـمـعـاـمـلـ الـبـرـتقـالـيـ، الـذـيـ رـشـتـ بـهـ الـأـرـضـ الـفـيـتـنـامـيـةـ بـهـدـفـ تـدـمـيرـ الـغـطـاءـ الـأـخـضرـ، فـيـ مـحاـوـلـةـ لـلـقـضـاءـ عـلـىـ الثـوـارـ الـفـيـتـنـامـيـنـ عـنـ طـرـيقـ القـصـفـ الـجـوـيـ، طـبعـاًـ هـذـهـ الـمـادـةـ السـامـةـ لـمـ تـدـمـرـ وـتـلـوـثـ الـبـيـئـةـ فـحـسـبـ، بلـ هـيـ لـاـ تـزـالـ لـلـيـوـمـ تـسـبـبـ بـولـادـةـ أـطـفـالـ فـيـتـنـامـيـنـ بـتـشـوهـاتـ خـلـقـيـةـ فـظـيـعـةـ، بـعـدـ الـحـربـ وـجـدـتـ هـذـهـ الشـرـكـاتـ نـفـسـهـاـ مـتـكـيـفـةـ صـنـاعـيـاـ لـانتـاجـ كـمـيـاتـ ضـخـمـةـ مـنـ هـذـهـ الـكـيـماـوـيـاتـ وـلـكـنـ بـدـوـنـ سـوقـ يـسـتـهـلـكـهاـ، لـهـذاـ عـنـدـهاـ بـدـأـتـ باـنـتـاجـ الـبـذـورـ الـمـعـدـلـةـ جـينـيـاـ وـمـقاـوـمـةـ هـذـهـ الـمـوـادـ الـكـيـماـوـيـةـ فـيـ آـنـ، فـهـذـهـ الـبـذـورـ صـنـعـتـ بـالـاسـاسـ لـتـسـوـيـقـ هـذـهـ الـكـيـماـوـيـاتـ.

ملكيتها الفكرية، هذه الحوادث حصلت في أميركا وكندا ولكن مسرحها الرئيسي كان في المكسيك، هذه البذور تكتنز ويكتشف فيها فلسفة وفكرة الاستعمار، وبالإضافة لما سبق، عدد كبير من البذور المعدلة جينياً، يتم رش الأرض قبل زراعتها بالفسفور الأبيض، تستخدم هذه المادة القاتلة لابادة كل ما هو حي على الأرض، لضمان أن لا تتقاسم أي بذرة محلية أخرى السماد والماء وما في التربة من معادن مع هذه البذرة الأمريكية المهجنة، أحد أسوأ فصول هذه البذور حصل في الهند والضحية هنا لم تكن التربة أو البذور المحلية فقط ولكن المزارعون أنفسهم، فقد قامت شركة مونسانتو ببيع بذارها من القطن بشكل غير قانوني، وأدت إلى ادخال مئات الآلاف منهم في دوامة من الديون الضخمة التي لا يمكنهم سدادها حتى لو باعوا أراضيهم، وخلال عقدين من الزمن أدت هذه الأزمة إلى انتحار أكثر من ربع مليون مزارع قطن هندي.



الأمراض والأدوية

عنوان اضافي هنا يصعب التعمق فيه، هو واسع وبجاجة الى متخصصين للخوض فيه، ولكن يمكن الاكتفاء بذكره بشك ل سريع، وهو مسألة الامراض والأدوية، فيما يخص الامراض فإنه من المؤثر باعترافات الأوروبيين أنفسهم أنهم استخدمو الأغطية والهدايا الملوثة من مصايب الجدري، من بين امراض أخرى لاصابة الشعوب الأصلية لأميركا بهذه الامراض، والتي لم يكونوا يتلذبون مناعة ضدها، وهي تسببت بمحو قرى ومجتمعات كاملة بسرعة فائقة، اعتبر الأوروبيون هذا مساعدة من رب لهم في "تطهير" الأرض والاستيلاء عليها، وشارك في هذه العمليات المبشرون

والكنيسة الى جانب القادة العسكريين، ويحاول الغربيون اليوم تصوير ما حصل على أنه كان حادثاً بيولوجيًّا مؤسفاً نتج بشكل عارض نتيجة لالتقاء شعرين، وهذا بعيد كل البعد عن الصحة كما ذكرت، كما وأنهم يحاولون غسل أيديهم أكثر من دم الضحايا بالادعاء أن 90% من الشعوب الخمسينية التي أبادوها ذهبت بفعل الأمراض وهذا أيضاً غير صحيح (العكس، حق التضحية بالآخر أميركا والابادات الجماعية، 2002)، طبعاً هناك الكثير من مراكز الأبحاث والتجارب للأسلحة البيولوجية التي تقوم بها أميركا بشكل سري، فضح أحدها في جمهورية جورجيا، وباعتقادي أن أميركا لم تجد جرثومة كالجدرى اليوم لتسلطها على أعدائها وتضمن أن لا تدمرها هي أيضاً ولكن ان وجدتها، فهي بالتأكيد ستستخدمها لأنها سلاح خفي، يمكن اعتباره عقاباً ربانياً والتبرؤ من دم الضحايا. أما بالنسبة للأدوية فان أغلب اجرام شركات الأدوية الأمريكية يقع أثره على الأمريكيين أنفسهم، وذلك بسبب القوانين وقوة لوبي شركات الأدوية داخل اميركا، فأما أدوية الأمراض المزمنة مثل السكري، فهي مرتفعة الثمن بشكل مبالغ فيه، لأن الشركات تقوم كل خمس سنوات بتعديلات طفيفة لا أثر دوائي لها ولكنها بذلك تحافظ على الملكية الفكرية وبراءة الاختراع، مما يضمن لها احتكار سوق حقنات الانسولين، وفي مجال دوائي آخر فهناك قصة المسكبات الافيونية، التي تسببت بموجة ادمان جديدة في أميركا على مخدر يدعى بالفينيتانيل، اذ أن شركات مثل ساكلر ضللت المرضى وتأمرت مع مجتمع كامل من الأطباء بالرشوة، ودفعتهم لاستخدام مسكناتها (اوكيسيكونتن) حتى لأبسط الأوجاع، مؤكدة لهم كذباً من قبل أطبائهم والمجلات والأبحاث والمؤتمرات العلمية بأن أدويتها لا تسبب الادمان، إلا أنه كارثة الادمان التي تسببت بها تؤدي الى حوالي 50 الف حالة وفاة بالجرعة الزائدة عام 2019، أما عام 2020 فتوفي حوالي 100 الف أمريكي، الأسوأ من كل هذا أن العلاج المستخدم والمعتمد من المستشفيات والشرطة لحالات الجرعة الزائدة تنتجه نفس الشركات التي تسببت بالوباء والذي يشكل لها مورد ربح اضافي.

قائمة المراجع

United states of America: .*TEDx Pine ridge* .The Lakota of Pine Ridge .(2010) .Aaron Huey .TED x

Journal .Historical Research on International lending debt. vol. 4 .(1991) .Barry Eichengreen .169-149 .*of Economic Perspectiv*

Max-Planck- .Concept of Odious Debts“ The Evolution of the .(2008) .Christoph G. Paulus .öffentliches Recht und Völkerrecht Institut für ausländisches .(2007) . Oegg Barbara و ، Elliott Kimberly Ann ، J. Schott Jeffrey ، Hufbauer Gary Clyde Washington DC: PETERSON .*Economic Sanction reconsidered 3rd edition* .INSTITUTE FOR INTERNATIONAL ECONOMICS

Pledges of Empire: The Ara Pacis and the Donations .(2008) .Bridget Buxton و Diana Kliener .89-57 .*American Journal of Archaeology* .of Rome

تم الاسترداد من .Mexico proved that debt can be repudiated .(March, 2017 24) .Eric Tousaint Committee for the abolition of illegitimate debt: <https://www.cadtm.org/Mexico-proved-that-debt-can-be>

The تم الاسترداد من ./.<https://thediplomat.com> .(December, 2014 30) .Francis P. Sempa diplomat: <https://thediplomat.com/2014/12/the-geopolitical-vision-of-alfred-thayer-mahan>

.New york: Grove press .*The Wretched of the earth* .(1963) .Frantz Fanon

New York: Alfred A. Knopf, a . *Everything under the heavens* .(2017) .Howard W. French .division of Penguin Random House LLC

.Row & New York: Harper .*A People's History of the United States* .(1980) .Howard Zinn .*Colonial effects: the making of national identity in Jordan* .(2001) .Joseph Andoni Massad .New York: Columbia University Press

.London: Pluto press .*Super Imperialism* .(2003) .Michael Hudson

.California: CounterPunch Books .*Killing the host* .(2015) .Michael Hudson

Dresden: .and forgive them their debts: Lending, Foreclosure and(2018) .Michael Hudson .ISLET-Verlag

Economic 'freedom's' Awfull toll; The 'Chicago Boys' in .(October, 1976) .Orlando Letelier .52-44، الصفحات Review of Radical Political Economics .Chile

THE CONCEPT OF ODIOS DEBT IN PUBLIC .(2007) .Prof. Robert Howse .UNCTAD .INTERNATIONAL LAW

.Hurst publishers .Inglorious Empire - What the British Did to India .(2016) .Sashi Tahroor London: Scribe .Inglorious empire, what the british did to india .(2017) .Sashi Tahroor .Publishers

.New Delhi: LeeWord Books .Washington bullets .(2020) .Vijay Pershad

ادوارد سعيد. (1981). الاستشراق المعرفة السلطة الانشاء. بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية.

ادوارد غاليانو. (2016). الشريين المفتوحة لأميركا اللاتينية. لندن: طوى للثقافة والنشر والاعلام.

منير العكش. (2002). حق التضحية بالآخر، أميركا والابادات الجماعية. بيروت: رياض الرئيس للكتب والنشر.

منير العكش. (2009). أميركا والابادات الثقافية "لعنة كعنان" الانجليزية. بيروت: رياض الرئيس.